أعلام الثقافة التونسية 32

البشير العشرقي
شاعر الحبّ والسّجن

الجمهورية التونسية
وزارة الشؤون الثقافية
المؤسسة الوطنية لتنمية المهرجانات
والتظاهرات الثقافية والفنية
منتدى الفكر التنويري التونسي

عنوان الكتاب	**أحمد الهويلي الأديب الطلعة**
المؤلفون	*** محمد المي** *** محمد علي القارسي** *** مفيدة الجلاصي** *** نور الدين بالطيب** *** كوثر بلعابي** *** شمس الدين العوني** *** منى الماجري** *** منصف المزغني** *** سوف عبيد**
السلسلة	أعلام الثقافة التونسية ـ عدد 32
ر.د.م.ك	978-9938-9689-5-8
عدد الصفحات:	128
إشراف وإعداد	محمد المي منتدى الفكر التنويري التونسي
الطبعة الأولى :	2024
الناشر	**المؤسسة الوطنية لتنمية المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفنية**

البشير المشرقي
شاعر الحبّ والشّجن

محمد المي

غارق في أحلامه يجدّف بأبيات الشعر إلى حيث لا يعلم مكان وصوله ولا أين سيرسي زورقه الحالم كطائر لا يهمّه سوى أن يحلّق في سماء الشعر ويعزف ألحانه بقيثارة قدّ خيوطها من ثقافته الأجنبيّة والشعر الفرنسي على وجه الخصوص الذي تاه في حبّ أعلامه .

ذاك هو سي البشير كما يحلو أن نناديه سواء ونحن تلاميذ في معهد نهج باش حامبة ببنزرت أو في المندوبية الجهويّة للثقافة ببنزرت التي قاد رحلتها سنوات طوال صحبة العديد من الأعلام فأسس الملتقيات الأدبيّة والفكريّة والثقافيّة عموما وأدارها باقتدار وان طبع العمل الثقافي بطابعه الشخصي فكان بامتياز المندوب الشاعر العارف بتفاصيل السّاحة ورموزها وأعلامها نائيا بنفسه عن هرجها وضوضائها .

لم يكتب البشير المشرقي إلا فيما أحسّ به وعاشه في دواخله وناجى به الأطياف التي كانت تحلّق في سمائه ومنذ ظهوره مع جماعة الأخلاء عند صدور أول مجموعة من مجاميعهم « لغة الأغصان المختلفة» وانخراطه في تيّار شعري أثار الانتباه في منتصف الصثمانينيات : تونس الحب والياسمين صحبة شعراء

آخرين مثل يوسف رزوقة وعبد الله مالك القاسمي والصادق شرف ...الخ بقي البشير المشرقي وفيّا لأوتاره التي اختار العزف عليها .

لم يجد حظّه من النقد والدّرس رغم تعدّد مجاميعه الشعريّة ورغم أنّه بقي وفيّا للشعر ولم يكتب الرواية أو القصّة أو البحث أو النقد رغم قدرته على ذلك . سخّر نفسه للشّعر دون سواه من ألوان الكتابة الإبداعية ولذلك كان لا بدّ من الاحتفاء بتجربته ولفت الانتباه إليها ودعوة النقّاد إلى تمحيصها وقراءتها لأن سي البشير يستحقّ أكثر من الاعتراف والتكريم لقاء وفائه للأدب وإخلاصه للشّعر ونضاله في الميدان الثّقافي .

ويتساءل البعض عن مقاييسنا في اختيار شخصيّات منتدى الفكر التنويري التونسي فهذه التي أشرنا إليها هي بعض مقاييسنا لأنه من غير المعقول أن نكرّم شخصيّة كُرّمت في عديد المنابر ونسكت عن شخصيّات أخرى رغم سنوات البذل والعطاء لم يقع الانتباه إلى منجزها وتناوله بالدّرس والبشير المشرقي أحد هؤلاء الأعلام ممّن نرى ضرورة تكريمه والاحتفاء بمنجزه الإبداعي .

محمد الي

منتدى الفكر التنويري التونسي

الصوت الباقي
قراءة في تجربة
البشير المشرقي الشعرية

محمد علي القدهي

جئت لأبر بدين أدبي وثقافي وكذلك تاريخي تجاه صديقي الشاعر البشير المشرقي . عرفته نهاية الدراسة الثانوية بمعهد فرحات حشاد ببنزرت أواخر الستينات وأواخر السبعينات من القرن الماضي. سبقنا إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس ومنه تنسمنا أخبارها وأخبار أساتذة الأدب القديم والحديث والأدب المقارن.

وجد في الكلية ما يعمق شغفه بالشعر وهو في الأصل سليل نبتة شاعرة، تراه في طريقه يسير في شبه اطراق كأن لديه لحنا يقصه أوبيتا من الشعر يخبر ايقاعه .

جمعتنا الزمالة لفترة بنفس المعهد الثانوي قبل أن يتولى إدارة مؤسسات تربوية أخرى ثم حط الرحال في المندوبية الجهوية للثقافة في ربوع بنزرت.

في كل هذه المراحل والخطط لم أكن أرى فيه غير شاعر دعي إلى مسؤولية ما سرعان ما يتسلل منها إلى عالم الشعر

والشعراء وهذا ما صنع ببعثه للمهرجان الوطني للشعر الحديث ببنزرت الذي شهد دورات ثرية متعددة واختفى بعد مغادرته الدار.

الشعر جبلة فيه ومنبت متنه وحواشيه يجري فيه مجرى الغالب معنى ومبنى وهو عنده قبل كل شيء تجربة نفسية مخصوصة تكون الذات الفردية محورها ومدارها الرئيسي وهو يعتبر أبا القاسم الشابي الأنموذج الأوفى في هذا الاتجاه مستحضرا بيتيه الشهيرين :

انت يا شعر فلــذة من فؤادي * تتغنى وقطعة من وجودي

فيك مافي جوانحي من حنين * أبدي إلى صميم الوجود

جاء هذا في عدد خاص من مجلة الفكر : أكتوبر 1978 في شهر أفريل من سنة 1972 ينشر الشاعر الشاب في مجلة الفكر التي احتضنته قصيدة بقي باكورة انتاجه المنشور (على ما أعلم) وقصيدة «عودي» على المتقارب وهي غزلية غنائية .

لا تخلو هذه السنة 1972 من أهمية كبرى في تاريخ تونس الاجتماعي والثقافي بوجه عام وهو أمر شديد الاتصال بما نحن فيه . شهدت السنة تحركات طلابية عارمة ومطالبات عمالية أبرزها اضرابات النقل العمومي وحتى نبقى في سياق الأدب والشعر تحديدا نشر الطاهر الهمامي مجموعته «الحصار» في غير العمودي والحر وكان صالح القرمادي نشر «اللحمة الحية» سنة 1970 كما نشر الحبيب الزناد ومن النقاد من يعتبره أحد رواد الطليعة الأدبية مجموعة «المجزوم

بلم» وكانت محاولات التحديث الشعري قد انطلقت بعد في بعض البلاد العربية تحت تأثير عوامل ثقافية واجتماعية وسياسية تكاد تكون معروفة لدى الجميع وتجربة مجلة «شعر» (1957-1970) شاهدة على ذلك شملت هذه المحاولات مجالات الأدب والفنون وكتب لها أن تعيش ما استطاعت أن تعيش وحققت في مسيرتها انتشارا وتركت أثرا .

ما سبقنا بذكره من انتماء بشير المشرقي لم يحجب عنه المشهد الشعري المحلي (التونسي) وكانت تتفاعل فيه أصوات متعددة ولئن كان التزامه ببيان قصيدة «شعري» ومثيلاتها لا غبار عليه فان آداءه كان يوحي بأن الوصول إلى ذلك كان نتيجة بحث واختيار لمسيرة مخصوصة شدت اهتمامنا واعتبرناها جديرة بالوقوف عندها ومساءلتها . انها جزء لا يمكن تجاوزه من واقع الشعر التونسي المعاصر وذاكرته القريبة كما سنبين .

حط الشاعر رحال تجربتها الشعرية مؤقتا وأخيرا سنة 2023 (السنة الفارطة) في عمارة - والعبارة له - شعرية كدح في تشييدها ولما استقام له البنيان واشتدت أركانه تفنن في كساء غرفها وأروقتها وجدرانها قطعا من الجهد رؤيا وحسا وتنسيقا. حضر معجم البناء مرفوقا بمعجم الرسم يتوسطهما معجم الغياب والتأجيل

«فسيفساء الظلّ والألوان»

عرفناه أوّل أمره في مجموعته الشعريّة الأولى سنة 1978 جادّا في البحث عن مقر ثمّ تتالت مجموعاته بانتظام واصرار

طوال 45 سنة ما جعل منها مدوّنة محترمة صمدت في هذه الرّحلة الطّويلة وهاهي تستمرّ في الفضاء الالكتروني متعقّبة ذبذبات النّات .

في مجموعاته الإحدى عشر تنقّل الشّاعر بين شدّ النوافير (1978) ثم توقّف تحت زخّات المطر يتذكّر ويتأمّل «على نقر المطر والذّكريات» (1994) متفائلا بالرّبيع (1995) ثم استأنف رحلته مع السندباد (1997) .أدرك أن للحياة فصولا لا تمضي ثمّ تعود (كتاب الفصول) (2000) فخلق لنفسه مقرّا لم يعتده الإنس ارتفع مثل لالباتروس وحلّق واخترق جاذبية الحلم (2003) .

شهدت هذه المعاني والمواضيع تداخلا في تناولها واختلافا في الصّياغة والنّسج والايقاع وهي في أغلبها تذكّر بمدوّنة أبي القاسم الشابي الرومنطيقية ومن أتى بعده وسار سيره من الشّعراء المعاصرين عندنا (خريّف، صمّود، ماجد، الصادق شرف ...) .

لك أن تقول انّها معاني الشّعر الرومنطيقي ومواضيعه وأنّ شاعرنا طاف بها من جميع الجهات وقبّل أحجارها لكنّي لا أستعمل هذا الرأي لاعتبار منهجي حدّده النقّاد والقاضي بحصر الرومنطيقية في منابتها الأروبية (أنقلترا، ألمانيا، فرنسا ..) في حدود القرن التاسع عشر تقريبا، أمّا الرومنطيقية فتصادت معها وامتدّت بعدها قرنا من الزّمن تقريبا فلا يجوز إطلاق هذا المصطلح على شعر جاء بعد ذلك .

أمّا ثاني أسباب الاحتراز هو أنّ أغلب هذه المعاني متّصل بقيم وجدانيّة ووجوديّة عامّة قد يعيشها الانسان مهما تباعدت البلدان والجاري على المنوال ليس بالضرورة كصاحب الأصل وبهذا المعنى يصحّ ربّما ما ذهب اليه الناقد الفرنسي ميشال بيتور :

Il ya un mouvement romantique qui commence a partir de la fin du 18 s et qui se développe jusqu'a maintenant sans interruption

لكنّ سؤالنا الأساسي هو : أين تكمن خصوصيّة الشّاعر البشير المشرقي ؟

لمواصلة أهمّ الأفكار في هذا المبحث رأينا تحليل أهمّ ما جاء في قصيدة بعنوان : «قصائد» وهي قصيدة جمع

1/ الايقاع منبع الخصوصيّة

أ- الايقاع؟

ب- مظاهر الايقاع الأساسية

2/ دلالة الايقاع ورمزيّة القصيدة

دراسة تحليليّة نقديّة في الدّيوان الشّعريّ «فسيفساء الظّلّ والألوان» للشّاعر التّونسيّ «البشير المشرقي» بعنوان:

«في البحث عن الذّات وتشكيل المعنى»

د. مفيدة الجلاصي

1 - تقديم الدّيوان:

صدر ديوان» فسيفساء الظّلّ والألوان» عن دار خريّف للنّشر والتّوزيع في طبعة أولى 2023 وهو من الحجم المتوسّط ويمسح 224 صفحة وتضمّن 188 نصّا شعريّا بين ومضات شعريّة وهي الّتي غلبت على المجموعة وعددها 153 ومضة وقصائد تفاوتت في الطّول ورد جلّها على النّمط التّقليديّ للقصيدة العربيّة العموديّة وكلّها دون عناوين.

2 - في قراءة العتبات:

خلا المؤلّف من الإهداء وصدّره بنصّ شعريّ قصير بدا معبّرا في مضمونه عمّا حفلت به النّصوص من معنى البوح والهمس فهو نصّ جامع كما بدا لنا للمعاني الّتي مثّلت جوهر ما أراده الشّاعر ليدخل الشّاعر في نصوصه الشّعريّة لذلك

انصبّ اهتمامنا على العتبة الأولى وهي الأساسيّة « العنوان: فسيفساء الظّلّ والألوان»

بدا لنا العنوان متّسما بطرافة المبنى والمعنى فهو كعتبة أولى يجعلنا نستحضر سلطة التّصوّرات القبليّة الّتي سادت في ثقافتنا العربيّة من جهة ثمّ سلطة المضمون من جهة أخرى وهذا يعني أنّ ما يحمله العنوان من تأثير مباشر على المتلقّي لاسيما القارئ النّاقد الّذي يتولّى فكّ شفرته الدّلاليّة من خلال ما يحمله من تصوّرات أوّليّة في اختزال لغويّ وأسلوبيّ مغر يدغدغ أفقه المقروئيّ التّأويليّ للمضامين الّتي تنطوي عليها النّصوص.

أ-في تركيب العنوان ودلالاته: يضعنا العنوان أمام تساؤل ينطلق فيه من تركيبه النّحويّ أوّلا ثمّ من أبعاده السّيميائيّة الدّلاليّة.

ورد عنوان المجموعة في شكل مركّب اسميّ إضافيّ:

المضاف: فسيفساء

المضاف إليه: الظّلّ والألوان: مركّب بالعطف.

فنحن إزاء مضاف ارتبط بعنصرين قد شكّلتهما الفسيفساء ثمّ كيف يمكن أن تلتقي كلّ هذه العناصر فعندما نقول « فسيفساء» نقول في صياغة المكعّبات الصّغيرة واستعمالها في تزيين وزخرفة الفراغات الأرضيّة والجداريّة عن طريق تثبيتها بالبلاط فوق الأسطح النّاعمة وتشكيل التّصاميم المتنوّعة ذات الألوان المختلفة كما يمكن استعمال مواد مختلفة مثل

الحجارة والمعادن والزّجاج والأصداف، أمّا الظّلّ فهو شكل الجسم المعتّم لكنّه لا يظهر بتفاصيله ولونه، فيبدو باللّون الأسود، فهو يحدث نتيجة اعتراض في الجسم المادّيّ لأيّ مصدر ضوئيّ تخرج منه أشعّة ممّا ينتج عنه حجب النور عن سطح جسم آخر مثل الجدران أو الأرضيّات.

وأمّا الألوان جمع لون وهو صفة الجسم من السّواد أو البياض أو الحمرة وغيرها ولون كلّ شيء ما فصل بيته وبين غير وهو ما نراه عندما تقوم الملوّنات بتعديل الضّوء فيزيائيّا بحيث تراه العين البشريّة وتسمّى عمليّة الاستجابة ويترجم في الالدّماغ بما يسمّى عمليّة الإحساس الّتي يدرسها علم النّفس وللألوان دلالتها النّفسيّة المتعلّقة بالمشاعر والعواطف وبالسّلوك أيضا.

وقد أقام الشّاعر بشير المشرقي من خلال عنوان مجموعته علاقة بدت لنا جدليّة بين ثلاثة عناصر تمثّلت في الفسيفساء فنّا تشكيليّا والظّلّ والألوان في مجاليهما الفيزيائيّ والطّبيعي ليعقد صلته بالشّعر فنّا قوليّا وليعتمد هذا التّنظيم أو التّنضيد لنصوصه الشّعريّة الّتي وردت في أغلبها قصيرة أو هي ومضات جعلها على نظام فسيفسائيّ في سعي لتشكيل المعنى الّذي رام التّعبير عنه وليؤسّس لجماليّة صوره الشّعريّة بكلّ دلالاتها السّيميائيّة الموحية تجسبدا لمجموعة من الرّؤى الّتي « تعطّرت» بها قصائده من خلال أساليب تعبيريّة انتقاها لتوصيف ما يعيشه من

معاناة وجوديّة وتوقه إلى الانعتاق من واقع ذاتيّ مؤلم ومرير يعيشه في سعي دائم لتحقيق المنشود من ذلك.

ب*- صورة الغلاف: وهي كما قال الشّاعر لوحة هديّة من الفنّانة ألفة مثناني وقد بدت الألوان في هذه اللّوحة متداخلة ففي أعلاها نرى الأزرق في سماء تبدو صافية لا غيوم فيها لنتدرّج نحو الأسفل حيث نجد فضاء اختلطت فيه الألوان الّتي تدرّجت من البرتقاليّ القريب من الأحمر تتوسّطه نقاط كالشّظايا في هذه المساحة المشحونة بدوائر مبعثرة انتشرت هنا وهناك وكأنّها انبثقت من الأسفل في أرضيّة طغى عليها اللّون الأزرق الدّاكن الدّالّ في علم النّفس على معاني الإحساس بالكرامة والذّكاء والسّلطة والسّيطرة والقوّة ورباطة الجأش ويعتبر محبّو اللّون الأزرق جديرين بثقة من حولهم. كما أنّ اللّون الأزرق يرتبط بالطّقس البارد ويتخلّل هذا الفضاء الأزرق أعمدة نبعت في شكل مياه علتها رشحات كاللّهيب فبدت لنا كأنّها مدينة غارقة في اليمّ تناثرت منها أغصان اعتراها حريق فإذا بنا في مجال اختلطت فيه الثّنائيّات لتعكس لنا صورة من الفوضى العارمة في هذا الفضاء الّذي يبعث في النّفس شاعر مضطربة، إنّها لوحة تثير فينا العديد من التّساؤلات وتدفعنا إلى فكّ شفرتها الدّلاليّة من تعرّجات أشكالها والخطوط الملتوية، إنّها تكتسب قيمتها الفنّيّة بطابعها الرّمزيّ القابل للتّأويل لأنّها تبدو محمّلة بمجموعة من الأبعاد والدّلالات قد تكشف رؤية الشّاعر للحياة وتجربته في إدراكه لمفهوم الأشياء حوله وتكوّنها في ذهنه وفكره ونفسه، ومدى تأثيرها

في روحه من خلال تفاعله معها وجوديّا ووجدانيّا ليرسم لنا رؤياه للوجود في توهّجه الكونيّ ومن هنا ليست الألوان مجرّد زخرفة أو زينة للعين بقدر ما هي تلك الذّبذبات عبر تدرّجها المتفاوت بكلّ ما تخلقه في الذّات من تأثير مباشر جسدا وروحا من خلال اختلاف مستويات الوعي والإدراك حين تشحن الفكرة بطاقة توليد الأفكار وابتكارها وابتداعها ومن هذا المنطلق كان سعينا لبناء الدّراسة لهذا الدّيوان جعلناها تحت عنوان « في البحث عن الذّات وتشكيل المعنى» في ديوان الشّاعر بشير المشرقي فسيفساء الظّلّ والألوان

3- - في تشكيل المعنى في ديوان «فسيفساء الظّلّ والألوان»

لابدّ من الإشارة إلى أنّ اهتمامنا بتشكيل المعنى في ديوان «فسيفساء الظّلّ والألوان» للشّاعر البشير المشرقي إنّما هو اهتمام بالعلاقة بين المعنى والمبنى أو الشّكل بالمضمون أو بصورة أخرى في علاقة مشهديّة الصّور بمعانيها وأبعادها عبر مدخل نقديّ نظريّ حديث لأنّ مفهوم « تشكيل المعنى « يرتبط ارتباطا وثيقا بظروف نشأة النّصّ الإبداعيّ أي بعمليّة الكشف عن عوامل خلقه وإنشائه وإنتاجه وصياغته في سياقاته المختلفة وهذا ما اهتمّ به الشّكلانيّون والهيكلانيّون واللّغويّون في بحثهم في أسرار النّصوص الأدبيّة بكلّ ما التبست به من مؤثّرات كما بيّن تودوروف في كتابه «نظريّة الأدب» حين أكّد

قائلا:» وكلّ تلك المؤثّرات هي الّتي تعطي للنّصّ جماليّة تقبّلبه في القراءة التّحليليّة والنّقديّة لدى المتلقّي . ومن هنا يكتسب قيمته لبما يزخر به من طاقة دلاليّة في تعدّد المعاني»

ومن هذا المنطلق المدخل كان تقبّلنا للدّيوان تقبّلا حاولنا من خلاله الاستجابة المقروئيّة بتقديم رؤية نقديّة لها جماليّتها الّتي تأسّست على التّفاعل بيننا كمتقبّلين قارئين وبين النّصوص بهدف بناء الدّلالة الّتي نرجو منها الوقوف على هدفنا الرّئيسيّ وهو « تشكيل المعنى» عبر رصدنا لمختلف المعاني الّتي مثّلت محاور اهتمام في المجموعة.

فما هي المعاني المشكّلة في الدّيوان؟ وما هي أساليب تشكيلها الّتي اعتمدها الشّاعر « بشير المشرقي»

لقد نظم الشّاعر قصائده لتكون أداته الصّلبة قي تبليغ ما شاء من معان جسّدت مقاصده في التّعبير عن مجموعة من الخلجات الوجدانيّة الّتي استبدّت به فشكّلها في نضد فسيفسائيّ استوحاها من الظّلّ والألوان والعطور ليتكامل المشهد الشّعريّ عبر صور تأتيه من الماضي القريب والبعيد وفي توجّه فنّيّ واختيار بنيويّ ودلاليّ وفق استراتيجيّة لها أهدافها ومقاصدها ومضامينها الّتي سنحاول النّظر فيها لنتناولها تناولا ترتيبيّا عبر ما أسميناه بتشكيل المعنى ولهذا ارتأينا أن ننطلق من النّصّ الأوّل الّذي استهلّ به المجموعة، وكان بنفس تفاؤليّ عبّر عنه فكان الإشارة الأولى إلى توصيف ضمنيّ غير مباشر لواقعه النّفسيّ المتأزّم هزّزه باللّون الرّماديّ

الدّاكن الّي احتضن النّصوص ورسم للأمل حيث يقول في الصّفحة5 :

سيرجع صيفنا والعطر يهمي

ويبسم فجرنا بعد الشّجون

ويُرجعنا الزّمان لفصل صحو

بديع السّحر يسبح في العيون

ويجتمع الأحبّة في حمانا

طيورا حلّقت فوق الغصون.

إنّ هذا النّصّ اعتبرناه نصّا مفتاحا أو جسرا عليه نعبر لبقيّة النّصوص لأنّه يختزل في رأينا جلّ المعاني إن لم نقل كلّها الّتي سيخوض فيها الشّاعر ويسطّر دستوره الشّعريّ وفيه يتأمّل تحقيق مبادئه القائمة على التّأسيس لحلم جميل بواقع جديد وللمجموعة لذلك اعتمد على ضمير المتكلّم نحن في قوله: (صيفنا، فجرنا)

وقد حدّد مقوّمات هذا الواقع الجديد المتمثّلة في النّور والإشراق والصّحو والفرح والسّعادة والحبّ والألفة حيث البهاء والجمال وحيث لا وجود للشّجون وكلّ ما كان يكدّر عليه صفو حياته غير أنّ هذا الصّفو لم يدم طويلا فبمجرّد الانتهاء من هذا النّصّ المفتاح نفاجأ بدخول الشّاعر في متاهة الشّكوى الّتي لم تفارقه إذ صاحبته عبر كلّ القصائد ومن هنا رمنا تحديد المفاهيم السّائدة فيها محاولين الكشف عن أبعادها في علاقتها

بما أسميناه» تشكيل المعنى أو الدّلالة» وفي هذا الإطار رصدنا ما حفل به الدّيوان من معجم لغويّ حاولنا من خلاله ضبط المفاهيم الطّاغية على القول الشّعريّ عند « البشير المشرقي» في محاولة لتحديد العلاقة التّقاطعيّة بينها وبين الشّاعر في مستواها المجرّد والمحسوس ثمّ في أبعادها النّفسيّة والرّوحيّة وبما تعكسه من معان ودلالات تتّصل بالإدراك والحواسّ وهذا ما أشار إليه» جميل صليبا» في « المعجم الفلسفيّ ص ص 56و57حيث قال:» إنّ الإدراكات الطّبيعيّة هي المعارف الّتي تنشأ مباشرة عن فعل أعضاء الحسّ كرؤية الألوان فهي إدراك طبيعيّ لحاسّة البصر أمّا الإدراكات المكتسبة فهي المعارف الّتي تتولّد في النّفس من تربية الحواسّ.

إنّ هذه الإدراكات المكتسبة ليست في الحقيقة إلاّ أحكاما وتأويلات ولولاها لما أدركنا المسافة.

4- في معاني الغربة والحنين:

لقد انخرط الشّاعر « البشير المشرقي» في تشكيل المعاني الّتي حدّدت رؤيته للأشياء، فوجدنا أنّ الحلم عنده يتماهى مع تلك الرّؤية الحسّيّة والواقعيّة والّتي على أساسها بنى كونه الشّعريّ الّذي اعتمد فيه على أدوات من الفنّ التّشكيليّ (الفسيفساء، الظّلّ، الألوان) وهي وإن كانت أدوات محسوسة إلاّ أنّه سيعتمدها لترميم ما هدّمه الزّمن والوقت في النّفس والقلب والرّوح لذلك نجده يخاطب الوقت قائلا في ص 6:

وأقول للوقت انتظر

فالعمر راح

وتبدّد الحلم اللّذيذ وضاع أدراج الرّياح.

إنّها المناشدة للعمر بالعودة، وهل يعود الزّمن الّذي راح وانقضى وولّى، ليقيم بذلك نوعا من التّناص مع أبي العتاهية في قوله المشهور:

ليت الشّباب يعود يوما فأخبره بما فعل بي المشيب

هكذا يجوب الشّاعر مجاهل نفسه ليستبطنها عبر منعرجاتها علّه يؤسّس لعلاقة سويّة بهذا الوجود وتجاوز تلك العلاقة المتصدّعة به غي بحث مستمرّ عن الانسجام، فوجد في القوافي قدره المحتوم يناجيها معترفا بفضلها حين يقول في ص 61:

قضيت عمري أناجيها وأطلبها

هاذي القوافي فصارت بعض أقداري...

هاكم عطوري الّتي أبقيتها فلكم

غنّى الهزار ولم يحفل بإعصار

إنّه السّاعي أبدا إلى استرجاع ذلك الفردوس المفقود المتمثّل في ذلك الصّيف الّذي ما انفكّ يرثيه وقد بات هاجسه، فعبّر عنه في العديد من النّصوص فقال في

ص7:

العطر جفّ وورد القلب قد ذبلا

فكيف أرثيك يا صيف الّذي ارتحلا..

وكيف أبكيك والأشواق عاصفة؟

فهل علمت بهذا القلب ما حملا؟

حزن وشوق وأفكار مبعثرة

فكيف ألقاك بالآمال محتفلا

ولطالما قام بمساءلة الصّيف الّذي مثّل له موعدا للالتقاء بالأحبّة وعبّر عن عشقه له لأنّه رمز للفرح والجمال الطّبيعيّ فقال في ص20

سأنتظر الصّيف حتّى يعودوا

وتمرح أطيارنا في الخمائل

ففي الصّيف ينتشر الياسمين

ويرجع سرب القطا والبلابل

سأرقبهم كلّما لاح نجم

وحام على النّبع فوج العنادل

أحنّ إليهم كما حنّ غصن

لقطر النّدى في الخمائل هاطل

وفي موقع آخر يقول ليؤكّد أنّ عودة الصّيف مرتبطة بعودة الطّير والأحبّة في ص 49:

تركوا البلاد وما دروا من بعدهم

ماذا جرى للقلب والأضلاع

سيعود صيف حافل بعبيره

ويعود طير يحتمي بذراعي

تروي رسائلهم بقلبي غلّة

ويعوم في فلك الحنين شراعي

وهكذا كان الصّيف عند شاعرنا مرتبطا آليّا بمعنى الفرح وجمال الطّبيعة وسحرها حين يقول في ص55:

الصّيف عاد بشمسه وعطوره

وشدا المام مرحّبا بالعائد

قد كنت تضرب موعدا للقائه

واليوم عاد وأنت لست بعائد

ويتمادى في رثاء العمر وقد مرّ بالصّيف الّذي ولّى في ص72 حيث قال:

تمرّ دقائقنا والقطار يفوت

ربيعك يا شارد الخطو يمضي

وصيفك دون وداع يفوت

أمّا في ص 88 فإنّه يحمّل الصّيف مسؤوليّة تركه فريسة للحنين والشّوق فقال وقد غمره الحزن والأسى:

سلام على وارفات السّنين

مبلّلة بشذا الياسمين

سلام على الصّيف ولّى سريعا

وخلّفنا لرياح الحنين

سلام على القلب ذاب اشتياقا

سلام على العمر في كلّ حين

ويشتدّ ألمه ويتفاقم عندما يرى الصّيف يغادر بسرعة وحلمه بعودة الأحبّة يراوده

حين قال في ص102:

ولئن تمدّدت المسافة بيننا

فالطّير يرجع بعد طول غياب

والصّيف يرجع بيننا متعجّلا

متعطّرا بسحابة الأطياب

وأرى الأحبّة كالطّيور توافدوا

نحوي أعادوا صبوتي وشبابي

هكذا يغدو الصّيف عند شاعرنا بوصلته في استرجاع استقراره واطمئنانه لذلك تحدّث عن الأمل في عودته في المستقبل القريب فكلّما تحدّث عنه استعمل الفعل المضارع المرفوع مقترنا بالسّين من ذلك قوله في الصّفحة 114:

سيعود صيف بعد أن كان انقضى

ويفوح في الأرجاء عطر الياسمين

إنّه الصّيف الّذي « يلجأ لفيئه» هذا الصّيف الّذي ولّى وأخذ معه كلّ العطور الّتي كانت تنعشه وترك الحنين الّذي سيظلّ جاثما على نفسه لذا وجد في الغناء سبيلا لجعل الحياة جميلة حين قال ص 164:

سأغنّي لربيع

رائع جاء

وفات

لعطور الصّيف

ولّى

إنّه مدرك بأنّ عودة الصّيف ستكون انجلاء لليل أحزانه وآلامه كما عبّر عن ذلك في ص 168:

فهل يذكرون العهد أم زال وانتهى

زمان به كانوا يحنّون للعهد؟

أحبّوا النّوى ما أسعفونا بعودة

ولا أرسلوا عطرا يفوح على بعد

ترى هل يعود الصّيف واللّيل ينجلي

فيرتاح طير من رياح ومن برد؟

لقد ولّى الصّيف حاملا كلّ الشّذا وقد غدت روضة أيّامه جرداء وما بقي له غير زمجرة الحنين حين قال ص 176:

ماذا تبقّى والحنين مزمجر

بين الحنايا أصطلي بهبوبه؟

أمّا الأحبّة فالبعاد نأى بهم

ما أسعفوا المشتاق قبل غروبه.

إنّ في تطرّقنا لمعاني الغربة والحنين في الدّيوان يدفعنا مضطرّين إلى عقد صلة بينها وبين حياة الشّاعر في مستواها العاطفي والنّفسيّ بكلّ ما يختلج في داخله من مشاعر مضطربة جدّا فهو يعيش كالطّائر المشتاق كما قال في ص8:

ولئن غدوت الطّائر المشتاقا

للدّوح حنّ وللسّنا قد تاقا

فلسوف يغلبني الحنين مجدّدا

فأنا احترفت مع الهوى الأشواقا

لقد احترف الشّاعر فعلا الحنين والهوى والأشواقا، إذ لا يكاد يخلو نصّ في هذه المجموعة من هذه المعاني. فقد عاش حالة التّذكار والتّذكّر والذّكرى حين نأى الأحبّة وصار النّأي بديلا، وتلاعبت به الذّكريات فبات في تحسّر قاتل فصرخ قائلا ص 11:

كم مرّت الأيّام لست بذاكر

أعدادها لكنّها كانت هنا

وتبخّرت مثل الضّباب أباده

في رمشة هطل السّنا

ويغدو الحنين إلى الماضي الجميل السّعيد دافعا قويّا للشّاعر لينخرط في التّعبير عن آثاره السّلبيّة في نفسه وروحه وقلبه فيقول في ص:

قلبي يحنّ لهم قد شفّه السّهر

كطائر في مهبّ الرّيح ينتظر

يا ليتهم شعروا أنّي أحنّ لهم

حنين غصن إلى الأنداء لو شعروا

ويستمرّ الشّجن في تصاعد مستمرّ ليصل إلى منتهاه في الشّعور بالألم والوجع ومع اللّيل الّذي اتّخذه الشّعراء ملهما لهم ومصدر إبداع فقال في ص25:

نشكو إلى اللّه أجفانا مسهّدة

وطول ليل على الأضلاع قد جثما

جحافل الشّوق ما زلنا نكابدها

نفت عن العين نوما والنّوى سبب

حتّى التّمتّع بالأحباب ما سلما

ثمّ في الصّفحة 29 يؤكّد هذا المعنى قائلا:

على فتى الهوى غنّيت عمري

وقد طاب الزّمان لنا وراقا

دروب كم يحنّ لها فؤادي

وأفياء يطير لها اشتياقا

هكذا يجوب بنا الشّاعر « البشير المشرقي» في دهاليز نفسه وفكره ليفضي بما فيها كتابة بالتّعبير الشّعريّ ليبوح بأشواقه السّاكنة بين الضّلوع وبحنين يلازمه قد تعايش معه وتذكّر لا ينقطع عنه للأحبّة حين يصرّح قائلا في ص 65:

هفوت إلى الأحبّة ما كفتني

تحاياهم تجيء مع النّسيم

وأصوات لهم تغفو بسمعي

وتحملني لتذكار قديم

وها هو يضرب مع الذّكرى عهدا وموعدا ليقول في ص 95:

فهاجت شجوني والحنين تجدّدا

فقد غاب نجمي والزّمان تمرّدا

أحنّ لعيش في ظلالك ممتع

ويبلغ الأمر ذروته في نفس الشّاعر وقد سيطر عليه الشّوق والحنين وهو يتغنّى بقلب صار من لهب وقد انحصر في خطّ «استرجاعيّ» حينا و» استباقيّ» حينا آخر.

فالشّوق سيبقى في اشتعال والحنين يأخذه إلى الأحبّة وهو في شقاء دائم ممّا يجعله يتصوّر كما قال في ص96:

كأنّي بينهم سأظلّ أحيا

وأعدو خلفهم غربا وشرقا

أحوم على خمائلهم كأنّي

هزار يلثم الأغصان عشقا

ويظلّ واقفا على أطلال الأحبّة يتنشّق ذكراهم حين يقول في ص97:

وأحسبني أحوم على رباهم

كطير فوق نبع الماء حاما

مسافات مؤلّفة وبين

وتذكار بأجنحتي ترامى

سلاما يا مجالسنا سلاما

فقد نزح الأحبّة والنّدامى

ويبقى على هذه الحال يعيش وجع الذّكرى محاولا التّصبّر على فراق الأحبّة يخادع النّفس بأمل فاتر وقد بعدت عن عيونه الدّيار فعبّر عن ذلك في ص 100 قائلا:

وقد بعدت عن عيوني ديار

وأندية ومجالس أنس

وأصبحت من بعدهم في اشتياق

أعدّ البواخر أيّان ترسي

وأسمع للطّائرات أزيزا

أهم رجعوا أم أخادع نفسي؟

وهكذا يسيطر الإحساس الممضّ بالغربة على الشّاعر بكلّ ما يحمله من حنين وشوق ليبني رؤيته الوجدانيّة والوجوديّة في غياب الأحبّة وقد تركوه فريسة لألم الفقد والوحدة يلملم أشواقه علّه يهنأ بغفوة كما بيّن ذلك في ص 16:

فرأيتني والعمر يركض هاربا

متوحّدا كالنّجم في الآفاق

وفي خضمّ هذا الكمّ الهائل من الوجع والشّقاء نجد الشّاعر يرتحل بين تخوم روحه ونفسه وهو في حالة من الضّمإ إلى تحديد معنى لوجوده والحيرة تنهشه عبر التّسآل المستمرّ فينبري يتأمّل واقعه في لوم قاس لنفسه حين يقول في ص81:

ومالي أعدّ الوقت والوقت هارب

كما فرس الهيجاء يمعن في الرّكض؟

ويردف تساؤله بنوع من الرّثاء لذاته ليضعها أمام افتراض مؤلم قائلا ص 92:

هب أنّني يوما سأرحل مكرها

ماذا يقول النّخل بعد رحيلي؟

وليست الذّكرى لدى شاعرنا مرتبطة بالأحبّة الّذين رحلوا فحسب يل هي كذلك حنين إلى الطّفولة وعهد الصّبا النّقيّ والصّافي بطهره. إنّه حنين يتملّكه لأنّه يجد فيه معنى لوجوده ووسيلة للانعتاق من الشّقاء الّذي تردّى إليه. ولعلّ هذا ما أكّده « محمّد قوبعة» في كتابه» الرّومنطيقيّة ومنابع الحداثة في الشّعر العربيّ» في معرض حديثه عن الذّكرى في الخطاب الشّعريّ لدى شعراء الرّابطة القلميّة ولدى الرّومنطيقيّين بوجه عامّ فقال في ص 202:

إنّ هذا الحديث عبر الذّكرى يندرج ضمن رؤية شاملة أساسها الاستبطان والغوص في مجاهل النّفس لأنّ الغوص في مجاهلها والوقوف على مناطق اللاّوعي فيها هو الكفيل بردّ الاعتبار إلى نزوات النّفس وخطراتها وهو الكفيل وحده بإعادة التّوازن المفقود بين الوعي واللاّوعي في حياة الانسان»

ويظلّ يلهث وراء الأماني حتّى وإن هي غدت صهبة المنال فيقول في ص 147:

ومازلت أجري وراء الأماني

وأضرب في الأرض غربا وشرقا

وما كنت يوما ألوم زماني

وإن كنت ممّن يلوم الأحقّا

وها هو قد وجد ضالّته في الاستعاضة عن واقعه التّعيس في العودة إلى الطّفولة فهي حلم الحياة في نشدان السّلام وهو

الّذي وجد نفسه «غريبا كغربة يوسف وقد تعبت أجنحته» كما صرّح في الصّفحة 149 ثمّ يخاطب قلبه في الصّفحة 15:

عد بقلبي

لمجلس أنس

يؤمّه أحبابنا

عد لدار طفولتنا.

5- في علاقة الصّور الشّعريّة بتشكيل المعنى ومقاصده:

لا شكّ في أنّ للصّورة الشّعريّة علاقة وثيقة بتشكيل المعنى وتشكّله وهذا مرتبط بالجوانب الفنّيّة في تحديد أساليب الصّوغ الشّعريّ والتّعبير عن مختلف المعاني الّتي يروم الشّاعر أن يبلّغها ثمّ في طريقته المخصوصة في انتهاج خطّة لتجسيد رؤاه بكلّ ما تحمله من مقاصد وأغراض ومن هنا كان التّركيز على الصّور الشّعريّة الّتي بدت لنا في ديوان « فسيفساء الظّلّ والألوان» في علاقة تقاطعيّة مع ما أسميناه بتشكيل المعنى والدّلالة حيث اعتمد الشّاعر «البشير المشرقي» في رسم الصّور الشّعريّة على الفضاء النّفسي الباطني وهو يسرد تجربته الذّاتيّة بطريقة انفعاليّة جسّد بها أحواله. وهنا قد يتماهى مع ما أكّد عليه « عز الدّين إسماعيل» في كتابه « الشّعر المعاصر في اليمن، الرّؤية والفنّ» ص 195 حيث قال: «فالعمل الفنّيّ لا يولد إلاّ بعد صراع عنيف بين الفنّان وموضوعه»

وهو بذلك يرى أنّ الصّورة الشّعريّة تمثّل تفاعلا تخييليّا مع الواقع الذّاتي للميدع من خلال ما يعرضه من مظاهر نفسيّة وكذا الأمر إلى الشّعر. فالشّاعر « البشير المشرقي» قد أكّد هذا المفهوم في رحلته للبحث عن الذّات معتمدا على الاسترجاع ليشكّل لنا صورة فنّيّة بناها على ثنائيّة الماضي والحاضر ليسرد لنا أحواله وما يخالجه من مشاعر وأحاسيس وليعقد بينها وبين همس الحواسّ علاقة تناظر من خلال سيطرة الألوان والرّوائح والعديد من العناصر الطّبيعيّة كاللّيل والبحر والصّيف والغيوم حتّى أنّه يقيم خطابا يتوجّه فيه إلى الطّبيعة ليحمّلها السّلام بعطر الأحبّة قائلا في ص 21:

يا أيّها الغيم إن صادفت في سفر

عطر الأحبّة في الأرجاء قد فاحا

سلّم عليه وقل للعطر معذرة

منذ افترقنا ربيع العمر قد راحا

كما أنّه صوّر ما يعانيه من خراب في القلب والرّح والنّفس، مع أنّ هذا القلب مازال مزدانا بالحدائق المخضرّة وبالألوان، فقال في ص 22 :

لم يبق غصن في الخميلة يانعا

عصفت رياح الوقت بالأغصان

لكن في قلبي الحدائق كلّها

مخضرّة مزدانة الألوان

هكذا يطلق الشّاعر» البشير المشرقي» العنان لمختلف رؤاه ليرسمها بالكلمات، يحدوه طموح في أن يحقّق لروحه الخلاص من عقالها محاولا معانقة عالم الطّفولة بكلّ صفائه وطهره راثيا الزّمن الرّاحل ليرسم أمنيته المستحيلة فعبّر عن ذلك في ص 41 حيث قال:

لو كنت أعلم أنّ عهدك زائل

يا أيّها الزّمن الجميل الشّيّق

لملأت من شهد الحياة جوانحي

لأرى غصوني في خميلتي تورق

إنّ الصّور الّتي حفلت بها نصوص الدّيوان كانت معروضة في ما يمكن أن نسمّيه ثنائيّة التّشكّل بين ذات الشّاعر والطّبيعة، ومن هذه الثّنائيّة قام الشّاعر بعرض ما يعانيه من وحدة في ليل بارد وقد وجد نفسه في فراغ عبثيّ مقيت عندما أصيب بحالة من التّجمّد العاطفي والرّحيّ وقد عمّ الصّمت فقال في ص 46:

هذه اللّيلة الجاثمه

سوف أسهرها الآن وحدي

أعدّ دقائقها

وأنام بعين وأخرى تحدّق في اللّيل

وعبر هذه الثّنائيّة التّصويريّة يقف الشّاعر أمام الزّمن متّهما إيّاه بالغدر فيراه العدوّ الماكر لذلك يتوجّه إليه قائلا في لوم شديد له في ص 69:

حسبتك يا صرف الزّمان مسالما

فكنت عدوّا في ثياب صديق

تبادلنا الأشواق كلّ دقيقة

وتخمد في الأحلام كلّ بريق

وعلى هذا النّسق تتداعى الصّور في قصائد الدّيوان لترسم لنا ذاتا في منتهى التّأزّم وتتكرّر المشاهد نفسها في عمليّة استرجاعيّة يبقى فيها الشّاعر يناجي ماضيا كان جميلا وسعيدا قد ولّى وفي شكوى مستمرّة من حاضر تعيس بائس وقد غاب عنه الأحبّة ونأوا تتجاذبه الذّكريات في واقع ينوس بين الأمل والألم بين التّفاؤل واليأس وحلم يراوده باستمرار بعودة الزّمان حين يقول ص 119 متسائلا:

ألا هل عودة لزمان أنس

نهلنا فيه من شهد الأماني؟

هكذا بدت الصّور في الدّيوان متوشّحة بذات الشّاعر المتوهّجة وقد صار مركز الدّائرة فيها في إحساسه بالغربة والحنين والشّوق وهذه سمة الشّعراء الرّومنسيّين الّذين يتميّزون بحساسيّة مفرطة وكما قال ميخائيل نعيمة في كتابه «الغربال» فصل « العواصف» ص ص 234و 235» قد طفح

في داخل الشّاعر كيل الوجود حتّى لم يبق له من شاغل إلاّ محتويات نفسه وتمدّدت نفسه لدرجة لم يعد يرى معها إلاّ نفسه فلا يشعر إلاّ بآلامها ولا يسمع إلاّ صوتها ولا يسير إلاّ مع أشواقها ومطامحها.

وهكذا يبقى الشّاعر « البشير المشرقي» في حالة من الإلهام يرسم عالمه وكونه الشّعريّ ويجمّلهما بفسيفساء الظّلّ والألوان تلازمه الوحدة بقساوتها ووحشتها الموجعة فنراه يرتاد تخوم نفسه ليسبر أغوارها في رحلة رسم لها دروبها المعبّدة بالأحلام والأمنيات وتعبق بشذى الماضي وعطره. ولنا في النّصّ الشّعري الوارد في ص 130 حيث تتواتر الألفاظ المتّصلة بحاسّة الشّم بنسق حثيث وتكثيف لمرادفات العطر متّصلة كلّها بما يراوده من أحلام وآمال مثّلت هاجسه الأوحد.

6- على سبيل الخاتمة:

نؤكّد في خاتمة دراستنا على أنّ ديوان « فسيفساء الظّلّ والألوان للشّاعر «البشير المشرقي» قد تضمّن سرديّة شعريّة اختزل فيها تجربته الذّاتيّة بكلّ تجلّياتها النّفسيّة والوجدانيّة الّتي أكّدها لي بقوله الّذي عبّر فيه عن موقفه من الدّيوان وتقييمه لهذه التّجربة الجديدة:» هي وجدانيّات وغنائيّات» lyrisme» فيها مكوّنات طبيعيّة قد تعود أصولها للمحيط الّذي أعيش فيه بحر وحدائق وطبيعة غنّاء لا بدّ أن أتأثّر بها وأعني بنزرت» ويردف ذلك بقوله:» هناك روافد وجوديّة وتفاصيل متّصلة بهاجسي الزّمان والمكان، هاجس الزّمن وحضوره الكثيف،

ثمّ هاجس الموت» وهن الغربة قال :» قصائد عديدة مستقاة من غربة أحبابي وربّما من ترسّبات وتجارب لي سابقة في الغربة، كلّ ذلك كان هاجسا مقيما لي ودائما» كما أسرّ لي قائلا حول الأحبّة : « الأحبّة هم أبنائي وأحفادي خاصّة، ومن تغرّب منهم وأضحى بعيدا عن عيوني وحتّى الأصدقاء القدامى الّذين تشتّتوا في المكان»

من هنا كان النّظم الشّعريّ عند شاعرنا مرتبطا بقدرته على توليد نسق لخطاب شعريّ مخصوص أسّسه بالاعتماد على مكوّنات مختلفة معجميّا وتركيبيّا ودلاليّا

وقد حمّله ما حمّله من قواعد أساسيّة لبناء المعاني وتشكيلها في سيميائيّاتها الجماليّة وانزياحاتها اللّغويّة من حيث الصّور المجازيّة المجرّدة والمحسوسة في مستوى ما تتركه من أثر ووقع وجدانيّين بدرجة أولى في المتلقّي من حيث التّعبير الانفعاليّ نفسيّا وعاطفيّا بكلّ تمثّلاته الشّعريّة وقيمه الانسانيّة. إنّه يخوض رحلة المساءلة في حدود ذاته بكلّ انفعالاتها وأحلامها ورؤاها مع إحساس مقيت بالحيرة والشّكّ فصار التّسآل ديدنه وهو يستعر في نفسه وذهنه ومنه سعى إلى تحقيق نوع من الانسجام بين اللّغويّ والمعنويّ وهذا أمر متّصل بما يسمّيه النّقّاد» انفتاح الدّلالة» في استجلاء الصّلة بين الدّالّ والمدلول وطرق إيصال المعنى حين يصبح التّفسير في حاجة إلى تفسير وهكذا دواليك وقد لات يتوقّف الأمر عند حدّ معيّن.

لقد أورد الشّاعر « البشير المشرقي» قصائده كلّها دون عناوين وإن جاز لنا أن نطلق عليها عنوانا فسيكون مشتركا بينها وهو» حلم» فكلّ النّصوص التقت في أنّها تقاسمت مهمّة رسم حلم يراود الشّاعر في حلّه وترحاله بلقاء الأحبّة صيفا (ص 57) علّه يطفئ لهيب الشّوق المستعر بين أضلعه ويزيل حنينا كم جثم على قلبه وهو ذلك الطّائر المكسور الجناح يشدو بالحبّ مفتتنا وهو ذلك الوفيّ المخلص سيظلّ يحاورهم برغم البعد والنّوى (ص 200)

ومع كلّ هذا الألم السّاكن بين أحشائه سيظلّ الأمل ذاك الشّعاع الّذي يبدو له في آخر النّفق يشحنه بطاقة البقاء وهو ينتظر اللّقاء المرتجى والحلم الّذي يظلّ يراوده فيصرخ قائلا في ص 207:

مازلت ذاك الطّائر الهيمان بات يغرّد

مازلت أصغي للطّيور الصّادحات وأنشد

مازلت أرقب شمس صيف لا يمرّ ويبعد.

ويبقى التّوق للقاء الأحبّة لدى الشّاعر برغم العجز عن الالتحاق بهم هاجسه الأوحد وعبّر عن ذلك في ص 209:

لا شراع نحوهم يحملني

لا جناح غير أشواق عنيده

ومع ذلك يختم رحلته بنفس يبدو تفاؤليّا في عود على بدء حين يقول في ص 218:

ولو كان حلّ الصّيف ما كنت ساعة

أنوء بحملي والمواجع تطرأ

ومع ذلك سيظلّ ذلك الهيمان بدمع يهمي فيحمله قدره ليرى مصيره في ص 169 حيث قال:

الرّوح ظمأى

والأشواق نار

والأحبّة غائبون

والوطن ينأى

هكذا حمل الشّاعر « البشير المشرقي همّه الّذي أرّقه ليصوغ لنا قصائد تنضح صدقا وشفافيّة ممّا جعلنا نجوب تخومها محاولين القبض على مغالقها بكلّ ما تزخر به من أبعاد ودلالات وما اتّسمت به من صور وإيقاع داخليّ وقد جنّد لها طاقاته البلاغيّة لتشكيل المعاني الّتي رام التّعبير عنها وبما امتلكه من قدرة على التّحكّم في المقاطع لخلق نوع من الجماليّة الموسيقيّة الّتي تنسجم في رأينا مع المعاني والدّلالات طغت عليها الرّوح الرّمانسيّة لاسيما وهو يسبح في بحر الحلم المنشود وآمال لا تخبو وأمنيات لا تتبخّر وبرغم الواقع بكلّ انكساراته الّتي تلازمه فإنّنا نراه يقف متحدّيا ذاك الإحباط في ثورة وجدانيّة على لااليأس علّه يدمّر كلّ الأحزان الّتي تقضّ مضجعه وكانت وسيلته في ذلك الارتحال في ثنايا

القصيدة بحثا عن الفجر الوليد. إنّه ذاك الّذي يحمل في فؤاده كما قال في ص 98

عالما مضطرما:

فأنا رسم

حزين باهت

وأنا أبحث في زاوية

من زواياك عن الفجر البديل.

ويظلّ الشّاعر يشدو ويترنّم لأنّ الفرح صار بوصلته برغم المحن لينهي رحلته قائلا ص187:

قالوا كبرت ولم تزل مترنّما

ما سرّ هذا الفيض في الإحساس؟

قلت الزّهور إذا ذوت في روضنا

نفح العطور يضوع في الأنفاس.

المصادر

-1- البشير المشرقي: « فسيفساء الظّلّ والألوان»(شعر): دار خريّف للنّشر والتّوزيع الطّبعة الأولى 2023

المراجع:

-1- د فتحي أولاد بو هدّة: أجهزة تقبّل التّحديث الشّعريّ في دراسات العرب المعاصرين- الدّار المتوسّطيّة للنّشر ط 2015-1

-2- محمّد قوبعة: الرّومنطيقيّة ومنابع الحداثة في الشّعر العربيّ، (الرّابطة القلميّة أنموذجا) جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانيّة تونس 1-كلّيّة الآداب 2000

-3- حميد الحمداني: القراءة وتوليد الدّلالة – تغيير عاداتنا في قراءة النّصّ، الدّار البيضاء المركز الثّقافي العربيط1- 2003

-4- عز الدّين إسماعيل: الشّعر المعاصر في اليمن: الرّؤية والفنّ -بيروت دار العودة ط 2- 1986

-5- ميخائيل نعيمة: الغربال ط1 -1923(المجموعة الكاملة. المجلّد الثّالث دار العلم للملايين ط 4- 1998)

-6- حسين الواد: قراءات في مناهج الدّراسات الأدبيّة. دار سراس للنّشر 1985

-7-تودوروف: نظريّة الأدب 1965

-8- عبد المالك أشهبون: عتبات الكتابة دار رؤية للنّشر والتّوزيع ط 1- 2016

-9-مجلّة علامات في النّقد – المجلّد العاشر الجزء 39.

البشير المشرقي...
شاعر الحنين !

نورالدين بالطيب

«سيرجع صيفنا والعطر يهمي
ويبسم فجرنا بعد الشجون
ويرجعنا الزمان لفصل صحو
بديع السحر يسبح في العيون
ويجتمع ألحبة في حامنا
طيورا حلقت فوق الغصون»
وأقول للوقت انتظر ..
فالعمر راح
وتبدد الحلم اللذيذ وضاع أدراج الرياح !»

هكذا تبدأ المجموعة الأخيرة للشاعر البشير المشرقي الصادرة عن دار خريف للنشر قبل عام بعنوان «فسيفساء الظل والألوان «والتي جمع فيها آخر ما كتب متوّجا مسيرة مع النشر أنطلقت سنة 1978 ونشر خلالها مجموعة من الأعمال

الشعرية صدرت تباعا منذ أواخر السبعينات من القرن الماضي وهي :

في البحث عن مقر، نوافير ...وتشدو،على نقر المطر والذكريات، همسات إلى الزمن الهارب، السندباد والقمر الوحيد، أحبتي والليل والوطن،توقعات الربيع الخامس، كتاب الفصول، تحليق خارج حدود الحلم، أقمار في ليالي الحنين، ومجموعة مشتركة بعنوان « لغة الأغصان المختلفة « شارك فيها الشاعر الراحل الصديق عبد الله مالك القاسمي .

فقد عرفت البشير المشرقي شاعرا من خلال قصائده منذ أن بدأت أتلمّس الكتابة وأفتح عيني على الأدب التونسي من خلال نافذة أساسية وهي مجلة «الفكر» التي كنت أتابعها بأنتظام منذ مطلع الثمانينات إلى إن تعرّفت على المشرقي شخصيا مطلع التسعينات عندما إلتحقت بجريدة الشروق وكانت تصلني قصائد البشير المشرقي لنشرها في الملحق الأدبي الذي كنت أشرف عليه .

العالم الشعري للبشير المشرقي إذا كان لابد من تصنيفه فهو عالم الرومانطيقية التي أحياها بطريقته فهو شاعر نسيج روحه حتّى وأن تزامن بروزه الشعري مع ملتقى الحمامات الأول والثاني وبروز ثلاث تيارات أساسية في الشعر التونسي وهو المنحى الواقعي ومجموعة القيروان والرياح الإبداعية ورغم قربه من هذا المنحى الشعري الذي يتمسّك بروح الشعر باعتبارها حلما بعيدا عن المنحى الإيديولوجي إلا أن المشرقي كان منشقا عن الجميع يسبح في مياه نادرة مفعما

بالحنين ومحافظا على منحى غنائي لم يتخل عنه في كل مساره الشعري .

فليست الغنائية وحدها هي ما يجمعه بالرومنطقيين بل القاموس الشعري أيضا ففي قاموس المشرقي يحضر الحنين والمطر والقمر والاغاني والسماء والشجر والبحر ...فقد ظلّ المشرقي طفلا حالما في حالة شغف دائم وانتظار للآتي وسؤال .

« أين نمضي إذن»

هكذا يتساءل المشرقي في آخر قصائده !

« إلى أين والبحر

ودّع أحلامه

في حضور الجليد»

ويضيف في ذات القصيدة

«مضى الوقت

بالأمنيات وطار

ونأى عن حمانا

الأحبّة والأصدقاء

القدامى»

تبدو بعض قصائد المشرقي وكأنها مرثية للزمن الذي غاب فيه الأصدقاء وشحّ المطر ولم تبق إلا الريح تعصف بستائر القلب .

ورغم تميّز تجربته الشعرية لم ينل المشرقي حظّه كشاعر وهذا في الحقيقة يشترك فيه مع عدد آخر من الشعراء الذين لم ينصفهم النقد ولعل السنوات الطويلة التي قضاها المشرقي كمسؤول في وزارة الثقافة (مندوب جهوي للثقافة ببنزرت) جعلت منه خادما للشأن الثقافي والشعري عوضا عن الاعتناء بتسويق تجربته الشعرية وفي هذه التجربة الطويلة أنتصر المشرقي للشعر وأسّس ملتقى الشعر الحديث الذي كان من أبرز ملتقيات الشعر قبل أن يتراجع ويندثر مثلما أندثرت ملتقيات شعرية أخرى لم يعد يذكرها أحد اليوم أو تنظم بطريقة فيها الكثير من الزبونية .

ولعل اللافت في تجربة المشرقي أنه جمع بين كتابة القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة ففي جيله يمكن أعتبار المشرقي أكثر من كتب القصيدة العمودية لكن بنفس حديث والميزة الأساسية الثانية في تجربة البشير المشرقي هي الغنائية فكأنه نهر منساب ولعله أستلهم هذه الروح من طبيعة أرياف بنزرت الساحرة .

وبعيدا عن تجربته الشعرية يمكن أعتبار المشرقي من الشعراء القلائل الذين يعيشون الشعر ولا يكتبونه فقط فشخصيته الهادئة تشبه شعره فهو من المخلصين لأنفسهم بعيدا عن الأدّعاء الكاذب ولا الصلف ولا العدوانية .

ولعل هذه الندوة التي ينظمّها منتدى الفكر التنويري التونسي ستعيد الأعتبار للبشير المشرقي كشاعر خارج السرب بل آخر الشعراء الرومنطيقيين .

وأجمل ما أختم به هذا المقطع الذي يلخّص الهوية الشعرية لشاعرنا البشير المشرقي :

لا ترتحل وانتظرني

فلا حلم لي غير وقت

يرابط حولي

ويشرب من خمرة الشوق

جاهزة في جراري

أنا متن

الكتابة بأقصى الحنين في المجموعة الشعرية : «أقمار في ليالي الحنين» للشاعر التونسي : البشير المشرقي

(محاولة في تقصّي أبرز مظاهر شعرية الحنين في هذا الإصدار للشاعر أنجزتها كوثر بلعابي)

كوثر بلعابي

مدخل عام :

يمثّل الحنين موضوعا محوريّا من مواضيع الشعر العربي في مختلف مراحل تاريخه وما شهده من تغيّرات وتنويعات عبر هذه المراحل.. وقد ضرب فيه الشعراء بسهم وافر لأنّه يعبّر عن عاطفة إنسانية صادقة متولّدة في الغالب عن تجربة الغربة بمختلف تجلّياتها المكانية والزمانية والوجدانية والوجوديّة.. وإذا نظرنا إلى الحنين ومظاهره في شعرنا العربيّ عامة فسنجده منتشرا في أغلب الدّواوين ولدى أغلب الشّعراء.. حيث كانت بداياته مع شعر ما قبل الإسلام خاصّة في المعلقات وما تضمّنته من مقاطع النّسيب والبكاء على الأطلال، امرؤ القيس مثلا :

«كدأبك مِن أمّ الحويرث قبلها

وجارتها أمّ الرّباب بمأسل...

ففاضت دمُوع العين منّي صبابة

على النّحر حتّى بلّ دمعيَ مِحملي...»

واستمرّ مع العصرين الأموي والعباسي في المشرق «نذكر هنا ابا فراس الحمداني في الأسر وابا الطيب المتنبّي بعد مغادرته الشّام إلى مصر ووقوعه تحت سيطرة كافور الاخشيدي في قوله مثلا معبرا عن حنينه :

أغالب فيك الشّوق والشّوق أغلب

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

أ مَا تغلَط الأيّامُ فيّ بأن أرى

بَغِيضا تُنائي أو حبيبًا تُقرِّبُ... »

وتطوّر عند شعراء الأندلس مبثوثا في قصائد الغزل والرّثاء ووصف الطّبيعة خاصة في مشاهد التحسّر على فراق الأماكن.. «حنين ابن زيدون الي قرطبة.. حنين الحصري الي القيروان :

في كلّ يوم مع الأحباب لذّات

فليس في العيش مسرورا إذا فاتوا...

تفرّقوا كدموعي عند ذكرِهِمُ

فليت شعري كما قد بتُّ هل باتوا....»

وتجذّر هذا الموضوع أكثر في شعر جماعة المهجر خلال عصر النهضة مع مطلع ألقرن العشرين خاصة وهم يبحثون عن سبل تجديد الشعر وفكّ اصفاد القصيد القديم عنه والانفتاح به على التجارب الأدبية غير العربيّة خاصّة منها تلك التي

تناسلت عن عصر التنوير في الغرب ولعلّ شعر الرّومنطيقيين العرب كان أكثر تحبيرا وتعبيرا عن مختلف ابعاد الحنين المتّصلة بمظاهر غربتهم خاصّة وانّ رواده قد كابدوا الغربة عن الأوطان قسرا او طوعا والغربة في مجتمعاتهم نتيجة اصطدام أفكارهم ومواقفهم بالرفض القاسي وحتى العنيف في الأوساط التي عاشوا بينها «الشّابّي في قصيدة النبيّ المجهول مثلا وجبران الغريب في وطنه والباحث عن سحر الحياة في ما بعد الحياة....» ويواصل شعراء الحداثة مع منتصف القرن العشرين وما بعده الكتابة بغزارة في هذا الموضوع « منذ نازك الملائكة والسّيّاب في : «غريب على الخليج « وذاك الحنين العميق إلى العراق وجيكور وبوَيْب والأم المقبورة.. من منفاه في الكويت..» ولئن تأملنا كل تلك المدوّنة لألفينا موضوع الحنين يمثّل في الشّعر تعبيرا مخصوصا عن وضعية وجدانية ذهنية قادحها مكر الذاكرة التي تستيقظ في الإنسان كلّ حين فتوقظ فيه المزيد من الشّعور بالاغتراب وعدم الانسجام مع راهنه فيلوذ بماضيه حنينا تجاه مفقوداته أو بآتيه أحلاما وأمان تجاه منشوداته..

هذا التذكير أخذني إليه هذا الإصدار لشاعرنا الأستاذ بشير إذ رأيته يمثّل إضافة هامّة وعلى درجة سامقة من الجودة الأدبية إلى مدوّنة الشعر العربي في موضوع الحنين الذي مثّل مدار قصائد مجموعته الشعريّة لذلك آثرت ان أسلّط الضّوء على أبرز تجليات الحنين في قصائد شاعرنا عسى ان اظفر ببعض سمات تجربته الإبداعية ومن هنا جاء اختيار عنوان هذه

المحاولة في تقصّي شعريّة الحنين على مستوى العنوان ثمّ القصائد وما تحلّت به من غنائيّة وما نبست به من أبعاد دلاليّة..

في مستوى العنوان :

القمر له في الموروث الثقافي الإنساني دلالات عدّة فهو رمز العقل والمعرفة في الحضارة الغربية القديمة وهو رمز الخصوبة والجمال في الحضارة الشرقية القديمة حتّى أنّ الشعراء كثيرا ما يشبّهون به جمال وجه المرأة وإشراقه.. وهو أيضا رمز الرّفعة والقداسة في الثقافة الإسلامية لذلك ورد موضوعا للثناء والقسم في القرآن الكريم في أكثر من سورة ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ... فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾...

وهذه الدلالات الرّمزية لن تتعارض مع اسنادها او انتسابها في العنوان الي الحنين خاصّة وقد أقيم حضور القمر على، العدول من خلال استخدام صيغة الجمع (ونحن نعلم أنّه لا يوجد في الحقيقة سوى قمر واحد في الكون) التي أضافت دلالة رمزية أخرى للقمر ليصبح قصيدة الشاعر التي كتبها بمداد الشوق والحنين وهو تحت كلكل الذاكرة الماكرة تُقضّ مضجعه وتُسنِي مَهجَعَه في اللّيالي.. وكم احكم الحنين الذي تسجره الذكرئ قبضته على المغتربين وخاصّة العشّاق منهم في اللّيالي الموحشة.. ولا يفوتنا هنا ايضا ان نشير ولو بعجالة إلى هذا التّناغم بين العنوان ولوحة الغلاف وقد اكتمل فيها الكون في ضمن مشهد ليليّ رومنسيّ يتناغم بدوره مع الطابع

العام لقصائد المجموعة : دَيْجٌ وقمر وسماء بطيرها وأرض ببرّها وبحرها..

فكل قصيدة إذن من خلال طبيعة العنوان هي بمثابة قمر مشرق على ليل الشاعر الغريب حين يأنس بقلمه من وحشة الليّل فينتقل بالحنين من حالة شعورية إلى حالة شعريّة..

في مستوى القصائد :

هكذا مثّلت قصائد المجموعة في معجمها وصورها وابعادها انتشارا للعنوان على نيف وستين قمرا آنس حنين الشاعر وغربته وهو بين ثِقَل الذّاكرة وبين عتمة الليالي ووحشتها امتدّت عل تسعين ومائة من الصّفحات اسندت إليها عناوين وإن كانت متنوعة في تركيبها « مفردة : القصيدة؛ رحيل؛ إغفاءة.. مركب إضافي أو نعتي او... : مواسم الحنين؛ أغنيات معلّقة... أو جملة في الغالب إنشائية : لماذا ترحل الأشذاء بعيدا؟ ألهم اللهمّ قلبي؛ يا ليل...»

فقد انعقدت في مجملها على حقلين دلاليين متعالقين هما الليل والحنين وحيثياتهما : « تونس والصباح.. الليل.. النجمتان.. / حنين.. على حائط الحنين.. أشواق.. أشواق عائدة.. أجراس الحنين.. ذكريات...»

وهنا تجلت شعرية الحنين في هذه الانتقاءات باذخة الأناقة معجما وتركيبا بحيث أستطاع الشاعر ان يولّد منها إمكانات هائلة وعميقة من التعبير عن مختلف تجليات هذا الحنين وأبعاده التي عاشها وشعُر بها.. فنجده مثلا في هذا المقطع من

قصيدة : « النجمتان ص 58 يستعمل ابجديات الليل في تصوير حنينه إلى حبيبة نأى بها الزمان والمكان وهيّج الشّوقَ إليها دفترُ الذكريات :

يلوح وجه امرأة جميلة العينين

فارعة كشجر الرّمّان..

يرحل في عبيرها الفتّان...

في لحظة واحدة يدور هذا الكون ألف دورة

تلوح في سمائه هناك نجمتان...»

وهنا لا نغفل عن الحاح الشاعر في قصائد الحنين إلى الحبيبة في استحضارها غالبا من خلال صورة العينين خاصة لما للعينين من وشائج مع الليل من جهة فمن حركة العينين وفتحهما أو غلقهما تتحدّد علاقة الإنسان وحالته النفسيّة بالليل (النعاس والوسن والارق والكرى...) هذا من ناحية.. ومن وشائج مع القصيد كتابة وقراءة أو حتى مع الحياة بأسرها حسب التخريجات الشعرية لها في القصائد.. أ ليست العين وسيلة القراءة والكتابة والإدراك الحسّي لِما يُحيط بنا «قصيدة بين عينيك ص 168 :

بين عينيك أنا مرتحل

نجمة تسبح في ليل طويل

في قصيدي موجة هامسة

وخفيف من صبابات النخيل

وأنا أبحث في زاوية من زواياك

عن الفجر البديل ..»

فتتجاوز دلالة العينين حتى وهما في سياق غزلي الدلالة العاطفية الى دلالات وجودية او صوفية لم يخل منها أيضا الحضور المكثّف والمنوّع لمشهد الليل مسيّجا للأشواق حينا ومهيّجا لها حينا آخر في نزعة مأساوية شاكية حينا مُضيّ ليالي الصّبا والصّبابة في بهجة الصيف والرّبيع .. نجده مثلا في مقطع « من نصّ : قصائد خريف ص60 يقول :

أين أقماري التي سهرت معي

أين النجوم العاشقات؟

أين الرّبيع الحلو.. أترَع بالمباهج ذكرياتي.. »

وحينا آخر وجع وطأة الليالي الراهنة المشوبَ بالوحدة وبالحسرة على فوات السنين وحلول خريف العمر وشتائه.. يقول : « في قصيدة يا ليل ص 116 :

أقبلت يا ليلُ قل ما حيلة السّاري

لا نجم يهديه لا أصوات سُمّار

أمّا المواجع فالأضلاع تعرفها

نار تشُبّ على جمر من النار...»

هذا الحنين شمل ايضا الازمنة خاصة زمن الشباب الذي نجد الشاعر شأنه شأننا جميعا بعد العقد الخامس ينعاه بحسرة عميقة فيوَدّعه ويُودعه الأفراحَ الخوالي « وداع ص 176:

أودّع أيّام الشّبيبة باكيا

كما ودّع الطير الأليف المغانيا

وما كان قصدي أن أودّع روضتي

ولكنّها الأيّام تعدو ورائيا...»

منشئا من معجمَيْ الوجود والطبيعة صورا بلاغية في منتهى التأثير إذ أقيمت على تجسّيد المجرّد فجاءت صورة الذات الشاعرة المسيطرة على الخطاب الشعري لجلّ القصائد عبر ضمير المتكلّم « انا « في تنازع بين التعلّق بما ولّى والإنكار لِما حلَّ..

كما شمل الأماكن خاصة بنزرت(التي خصّها بقصيدة عموديّة ص46) منشأ الشاعر وتونس التي حضرت وطنا جريحا يحنّ الشاعر إلى ربوعه المزهرة التي كانت قبلًا :« جنّة النسرين ص 140 :

أبكي على الأيام يا جنّتي

كيف انقضت والوقت لم يمهل

لكن برغم الحَيْن اطيارُنا

جذلي ستُحيي عهدها الأوّل...»

ولغزّة فلسطين نصيب من هذا الحنين عبّر للشاعر من خلاله عن إيمانه بحق الشعوب في تقرير مصيرها وبشرعية الحق الفلسطيني واعتزازه بهويته العربية : « قصيدة الوردة والصّباح ص 27 :

في غزّة الشّمّاء نادي هاتف

الله أكبر فوق كلّ عداء....»

هذا الإطلال من خلال الذاكرة على الزمان والمكان كان للعبة الفصول دور اساسيّ عميق في آدائه شعريّا وبطريقة فريدة في التميز إلى سطوة الزمن وماساة الإنسان في الوجود..

ويمتدّ معنى الحنين ليشمل أشخاصا أحبّهم الشاعر ووصلته بهم صلات مختلفة : لينا حفيدته (ص 22) التي احاطها بأسمى معاني الحبّ في غنائية باذخة بصورها الجنائنية وإيقاتها الترنيمي في هذا التلاؤم بين كثافة أصوات المدّ والأصوات الصفيرية طبعا هذا يظاف إلى أصول إيقاع القصيد العمودي.

وكما عبّر الشاعر ايضا بفيض من الحزن معجما واسلوبا ودلالة عن حنينه إلى احبة رحلوا وكِتِبَ عليه ان يكابد ألم فَقدهم فيلقي الليل اليه بذكراهم ويضاعف حزنه وهذ نجده في عدّة قصائد منها : « قصيدة حنين ص 71 :

أراهم في الكرى فأمدّ كفّي

لأطياف تعود من الغياب

وأصحو مفرَدا لا نجم حولي

ولا طير يرفرف في السحاب...»

وأنبل ما في هذا الموج الدّافق من الحنين نجد استحضار الشاعر أعلاما من الشعر التونسي والعربي مثل أبي القاسم الشّابّي « في قصيدة : شاعر ووطن ص 17 التي صدّر بها الشاعر كتابه اعتزازا بنهج الشّابّي الوطني والتّجديديّ وإيجابية نزعته الرومنطيقية.. الي جانب رثائه للكاتب البشير التلمودي في قصيدة منفتحة على ابعاد وطنية عميقة (مسافة عمر من العشق ص33) ونزار قباني في (لماذا ترحل الأشذاء بعيدا؟ ص24 :

فشاعر الحبّ حتى حين يتركنا

يظلّ في فكرنا شدوا والحانا..)

فأبان بذلك عن حنين مترع بالوفاء الي توهّج القصيد الأصيل في عمق تجذّره داخل تربته الحضاريّة في زمن الانسلاخ عن الجذور والتفسّخ .. لذلك كان وفاؤه في هذه القصائد ايضا لطرائق في الكتابة بابجديات الطبيعة فصولا وجنائن ألبس الشاعر صورها المستوحاة من شعر الاندلسيين وشعر الرومنطيقيين لبوس عصره عبر طرق التّرميز والتّكثيف التي جعلت الكتابة في قصائده مكتظّة ايّما اكتظاظ بالحنين في بنية شاكلت إبداعات مجموعة من شعراء جيله الذين ظلّوا منحازين الي مَوْسقة القصيد بالأوزان العروضية حتى وهم يخوضون به غمار التجريب منهم الشاعر احميدة الصولي وآخرون...

في آخر المطاف :

هكذا كانت المجموعة الشعريّة «أقمار في ليالي الحنين» بما تضمّنته من ابعاد متداخلة بين الوجداني والوجودي ومن صور شعرية متظافرة بين ما هو بلاغي وما هو رمزي ومن إيقاع التزم إلي حدّ بعيد بأصول القصيد العمودي وكذلك القصيد الحرّ وبما اعتمدته من تيمات مشتركة بين مختلف القصائد (الفصول.. الليل.. الحنين) كانت مجسّدة لماهية الشعر عند شاعرنا في سياقه التاريخيّ بتونس والذي تبناه نخبة من جيله الذين لم يستسيغوا كثيرا قصيدة النثر.. ذاك الجيل جيل التوّاق الي المغايرة دون تخلّ عن المسايرة في توجهات متنوعة وفق تنوع القناعات حتى الايديولوجية منها.. آمن بضرورة تحديد هوية القصيد التونسي وأنجز محاولات ناجحة الي حدّ بعيد أبانت عن قدرة بعض شعرائنا على ان يمثّل خطّا خاصّا به بمفرده في الكتابة إلا أنّه لم يبلغ بعد تأسيس مدرسة الشعر التونسي التي نصبو إليها فهل تكشف الفترة اللّاحقة عن تبلور معالم معقولة للقصيدة التونسية لا تنقاد إلى الغرب ولا تنضوي تحت ظلال الشرق؟؟ وهل يكون للأستاذ البشير المشرقي دور في تأسيسها؟؟

فسحة في الكتاب الشعري «فسيفساء الظل والألوان» للشاعر البشير المشرقي :

* رومنطيقية متأنقة بين العمودي والحر..لقبه البعض ب» لامارتين « تونس..
* ...والشعر هنا يسير وفق خيط ناظم هو وجدان الشاعر ونظرته المفعمة بالتأملات والأحاسيس العميقة في أزمنة السقوط والعبور وبذاءة الحال...و الأحوال..
* شعر ينفذ سريعا وعميقا..طوعا وكرها الى الدواخل حيث الروح المتشظية بين الوجيعة والحلم .. والشجن والجمال..

شمس الدين العوني

الشعر هذا النهر القلق القادم من نبع البدايات حيث الكلمات والمعاني عناوين بوح وحلم وسفر تقصدا للقول بجواهر الأشياء وكنهها النابض وبالعناصر والتفاصيل وهي تمنح الأمكنة والجهات والعوالم شيئا من عنفوان بهائها ..و الشعر هذا الساكن دواخل الكائن يعلي فيه وبه شؤونا وشجونا حيث اللغة تدعو بهاءها النادر في كثير من رفعة وجمال ..وحسن لا تضاهى..

هكذا نمضي مع القصيدة وهي تأخذ صاحبها الى شواسع شتى .. بما في النفس من عنفوان العواطف والذكرى والحنين.. صاحبه صاحبنا الشاعر الذي مضى من عقود خمسة في سفره المخصوص مع الشعر حبا وهياما ودربا بث في الكلمات ما بنفسه من حتى..من أحاسيس مقيمة بين اللذة والانكسار والألم والحب والأمل في رحلة بادخة من رومانسية تقول بشاعرها كائنا هائما بين الجمال والطبيعة والذكرى والحنين والحسرة وفق اشتغال فني وجمالي دقيق وعميق على القصائد التي مثلت بالنهاية عوالمه المثلى بما حوته من هشاشة ورهافة هي من نظرات الشاعر ورؤاه وهو يتقصد افصاحا بينا عن ذاته الحالمة والمنكسرة والمتحسرة على ما ضاع من جمال الأحوال كل ذلك في خيال تغذيه نعومة العبارات وحسن الكلام..و هو الشاعر الذي مضى في رومانتيكيته المتأنقة بين الشعر الحر والعمودي ولفرط حساسيته لدرجة أن البعض من الشعراء يرونه على غرار الشاعر الفرنسي الكبير ألفونس دي لا مارتين (Alphonse de Lamartine / 21 أكتوبر 1790 – 28 فبراير 1869) أحد أبرز شعراء المدرسة الرومانسية الفرنسية.

وهكذ ايضا نلج عوالم الشعر عند الشاعر البشير المشرقي الذي تعددت عناوين دواوينه ومنها هذا الذي نحن بصدده ونعني كتابه الشعري الممهور بـ «فسيفساء الظل والألوان» الصادر حديثا عن دار خريف للنشر والتوزيع في 223 صفحة من القطع المتوسط وهوعمل شعري أبان فيه المشرقي عن توغله في تجربته الشعرية وفق رؤيته للشعر وللقصيدة وفق

الوعي الناجم عن أعماقه في احساس جارف بالحنين وبالغربة وبالحلم الذي يظل مقيما لديه في القصائد وفي الحياة التي يرنو الى الجميل فيها والمشرق ..فالكتابة الشعرية لدى البشير ظلت ولعقود عدة بمثابة المحاولات المستمرة للارتواء والخصب والاخضرار في عوالم متحولة ومربكة تغذي ما في الكائن من اغتراب ووحدة ونزوع نحو الاحباط والتداعيات المريبة..و الشاعر نا في هذا الحنين الجارف يظل على قلق الانتظار واقفا يمجد هذا المكوث في بحار الاشتياق (ص38) :

« أحقا في غد سيعود طير

ويهمي في قوافينا

وحين أرى طيرا يغني

ونجما في ليالينا ينير

وأسمع صوتهم في الأذن همسا

وموسيقى وأوزانا تغير

وأرجع بين جنبي اشتياق

كشوق الطير أرهقه الهجير

سلاما يا ليالي الأنس قلبي

على نار يؤججها الزفير

سأبقى واقفا والوقت يعدو

بمنديل الحنين لهم أشير...».

ان قصائد الشاعر في هذا العمل الشعري وفي غيره من مدونته الثرية بمثابة الطاقة المواجهة للحزن والكآبة المهيمنان على انسان هذه الأزمنة حيث خراب الأمكنة والحروب والصراعات التي هي نشاز عن الواقع الأمثل والطبيعة المحلوم ببهائها والأحوال المفعمة بالنشيد...نشيد الذات في احتفائها بالجمال وفي عنفوان ألقها وهيجانها الرجيم على الرديء والدنيء وما يعكر صفو الذات وانسجامها مع الكون الجميل..هذه الذات القائلة بشاعرها القلق الغائم كصباح في الطريق الطويل حيث الأفق بمثابة النفق ولا مجاك عند ذلك غير الشجن وبحار الذكريات

(ص48) :

«...غائم كالصباح

وممتلئ كالقلق

والطريق طويل

وأفق الفؤاد

نفق

لا عصافير تشدو

على شجر

لا غناء يبدد

وحشة هذا

النهار

ولا قمر في

السماء يلوح

الشتاء على

قاب قوسين

والعمر نوارة

في مهب الرياح

ووجهك غائمة

قسماته

سيجارة

في يدي

كالربيع الذي

قد مضى تحترق

وشجون وبحر

من الذكريات

على ساحل الروح

هاطلة

أين نمضي اذن

قلت للقلب

والطرقات معطلة

والخطى أخطأت

دربها...».

هذا الكون المكلل بالأسى وبالحلم دفعة واحدة ..فيه للحلم الجميل مكان وفيه للشجن المعتق أمكنة حيث للطير هنا فسحة حرية وتشوف وآمال هو عين رغبات الشاعر البشير المشرقي الذي يحاول ويحاورالعناصر والتفاصيل بأرض الشوق الممتدة وما فيها من أمنيات جمة وأغنيات مبهجة بعيدا عن قتامة الأشياء والسواد المحزن واليأس ..

(ص 125-124) :

«...و رأيتني في الحلم طيرا هائما

بين الخمائل في حماهم ينشد

يهمي الحنين على جناحه أنهرا

والشوق في أحشائه يتوقد

وفتحت أسفار الهوى فوجدتها

خضراء يانعة كغصن البان

فيها من الشوق الكبير جحافل

وسحائب تهمي على أغصاني..».

هذا هو كون الشاعر البشير المشرقي وهو المفصح في نشيده الخافت وفي شجن عظيم عنوانه الحلم في شوق هائل وبهجة وانكسار ..و هو كون الأحاسيس المبينة في كل ما تحيل اليه من أريحية للنفس وهي تتمرد على سلبيات الحياة والكائنات لأجل عالم يمقت الاحباط واليأس ويعلي من ثورات الوجدان ..الوجدان الشاعري في تعدد نظراته وعواطفه النبيلة تجاه الآخرين ..تجاه العالم.اها رحلة الشاعر ومغناته في دروب الحياة بما يشبه الملحمة ..أو لنقل انها ملحمة الشاعر..الملحمة المشرقية في شؤونها وشجونها حيث الغناء ايقاع القصائد وسلوى الشاعر وبوحه المخفي من قدم في الضلوع... (ص 62) :

« غنيت لم أطلب جزاء أروعا

من أن أغرد في الحياة وأبدعا

حاشا ضلوعي أن تكون ضنينة

بالبوح كم فيها العبير تضوعا...».

وهكذا .. فان عمل الشاعر البشير المشرقي الذي نحن بصدده ونعني كتابه الشعري الممهور ب « فسيفساء الظل والألوان « مجال جديد ومتجدد للقول الشعري المنسجم مع تجربة الذات والحياة لشاعر عرف ضمن جيله الثمانيني بهذا الدأب والحرص ضمن نهجه المتقصد كتابة وأسلوبا والشعر هنا يسير وفق خيط ناظم هو وجدان الشاعر ونظرته المفعمة بالتأملات والأحاسيس العميقة في أزمنة السقوط

والعبور وبذاءة الحال...و الأحوال..شعر ينفذ سريعا وعميقا طوعا وكرها الى الدواخل حيث الروح المتشظية بين الوجيعة والحلم والجمال .

أقمار في ليالي الحنين

للشاعر البشير المشرقي

قراءة في العلامات والدلالات

الأستاذة منى الماجري

للبشير المشرقي مدونة شعرية ثرية توزعت عبر عقود من نشاطه الشعري دل على تدفق وجداني لا ينحسر رغم ماانتاب الذات الشاعرة من فواصل اختارت فيها التأمل والمراجعة والانكفاء على الذات في مرحلة معينة من مسيرة الشاعر ومن تاريخ البلاد والتحول الكبير الذي طالها لتعود متوهجة طالبة المعنى مطاردة له مأصلة للحرف في رحلة نضاله الشعري الأصيل الذي لا يستسلم ولا يني .

ولو استعرضنا عناوين هذه المدونة الزاخرة لكان علينا أن نذكر القائمة التالية تمهيدا للوقوف عند إصداره قبل الأخير الموسوم بأقمارفي ليالي الحنين.

نشر البشير المشرقي اثني عشرديوانا موزعة على مساحة زمنية طويلة وعناوينها مرتبة حسب تاريخ نشرها وكما يؤكد ذلك الشاعر البشير المشرقي :

* في البحث عن مقر
* نوافير.. وتشدو
* على نقر المطر والذكريات
* همسات الى الزمن الهارب
* السندباد والقمر الوحيد
* احبتي والليل والوطن
* توقعات الربيع الخامس
* كتاب الفصول
* لغة الاغصان المختلفة. بالاشتراك
* تحليق خارج حدود الحلم
*ا قمار في ليالي الحنين
*فسيفساء الظل والألوان

ومن هذه المدونة اخترنا أن نعتني بديوانه قبل الأخير الذي عنونه بأقمار في ليالي الحنين وهو صادر عن دار الوطن العربي للنشر والتوزيع سنة 2022 في 193ص ويحتوي على 63 نص شعري تتفاوت حجما وتتوقع بين العمودي والتفعيلة وقصيد النثر كتاب من الحجم المتوسط تستوقفنا منه صورة الغلاف التي يصدرها نصف قمر في ليل يشقه شعاع، يكاد يرين اللون الأسود على اللغة غير أن مستقر النظر يكون غصبا عنا على القمر وعمود الشعاع الذي يذكر بعصى موسى السحرية

التي شقت امامه البحر نحو الخلاص هي ثنائية الضوء والظلام يطالعنا بها الغلاف فما هي تجليات ذلك في بقية العتبات عنوانا رئيسا وعناوين داخلية وعلاقات وحوارات بين العلامات؟

العنوان العتبة الرئيسية

العنوان،، أقمار في ليالي الحنين،، مركب جزئي بالنعت يرد المنعوت لفظا مفردا يحيل على القمر في صيغة الجمع مفيضا من صور الضوء والنور ماتفيضه صيغة تضعيف القمر فإذا كان القمر الواحد محيلا لمعنى النور وماله من دور في هداية الساري بالليل ومعنى العلو والسمو والشموخ بل القداسة إذ أن القمر مثل الإله المعبود في بعض الحضارات فلنا أن نتصور أثر كل ذلك على الجزء الأول المكون لصورة العنوان وهو يحضر في صيغة الجمع، أقمار إذن هي أنوار وأضواء وسماوات أو طبقات من السماوات إذ لكل سماء قمرها فلا يجتمع أكثر من قمر في سماء واحدة لكأننا بحضرة رحلة مكوكية لا تخبر عن محطتها الأخيرة، وهل الاستعارة وهي محرك التخييل أن تحط على أرض ثابتة؟ ليس عليها ذلك مادامت الذات الشاعرة على بساط السندباد لا تروم الهبوط ولا التسليم أقمار كيف، أقمار بماذا توصف ؟ توصف عن طريق المركب بالجر، ،في ليالي الحنين، لئن بدا من المنطقي أن تقوم علاقة دلالية بين الأقمار والليالي فإنه لنا أن نتساءل هل لليالي فصل يسمى بفصل الحنين، تنسب الليالي عادة إلى الشتاء أو الصيف أو الخريف والربيع أو تنسب إلى اللون في التقويم الفلاحي التونسي ليال

بيض أو ليال سود غير أنها هنا وفي هذا العنوان تنزاح عن تلك السياقات إلى سياق غير مألوف، ليالي الحنين، ،لتحمل معاني الشوق والوحشة والوحدة وهنا لنا أن نتساءل إذا كانت الليالي هي ليالي الوحشةوالوحدة فما قيمة الأقمار أو ماهي دلالتها الحقيقية في العنوان وفي علاقتها بمضامين النصوص وعناوينها ؟

العنوان يقوم دلاليا بناء على ماستقرأنا على ثنائية الضوء والظلام، أقمار في مقابل الليالي، ، حوار بين النور والعتمة وكلاهما يدل عليه الجمع، أقمار وليالي، فلمن ستكون الغلبة في هذا الجدل الذي يحيل عليه العنوان ؟ سنتقصى علامات ذلك في العتبات الداخلية أو العناوين الصغرى مركزين على الملفت منها والموظف للدلالة الكبرى في العنوان الرئيسي .

في هذا المستوى من العتبات ونحن موجهين بثنائية الضوء والظلام التي آلت إليها مساءلة العنوان نجد أنفسنا أمام جدولين منسابين من القصائد ينسابان متوازيين غير أن ذلك لا يمنع من تقاطعهما إذ أنهما نبعا ليتجادلا فكيف عبرت عناوين النصوص عن الشق الأول من الدلالة وهو الضوء ؟

وطن وشاعر

تونس والصباح

عود على بدء

لينا الوردة والصباح

أغنيات للسفر الأخير

بنزرت قصائد

أغنية الأبعاد

النجمات

حديث النخل

عيناك

نغم أغنيات معلقة

أشواق عائدة وأتيت من ليلي

ذكريات عائدة

ننظر في هذه العناوين فتوجهنا دلالة النور أو الضوء وكل ماينـدرج في سجله من معاني الأمل والانفتاح على الحياة وهكذا نجد الشاعر معتزا بالانتماء إلى ثوابت هي من قبيل مبررات الوجود أو ليس الوطن تونس والموطن بنزرت والحفيدة لينا من مقومات ذلك، أن نتغنى بذلك معنى أن نتغنى بما يشدنا إلى هذه الحياة رغم كدرها وعندما يعنون الشاعر قصائده بأغنيات، ،في قصيده، ،أغنيات للسفر الأخير، أغنية في قصيد، أغنية الأبعاد، ثم يجمع بين النغم والأغنيات ، ،نغم أغنيات معلقة، ،ثم عندما يستغل مفردة عائدة مرتين في هذا الجدول من القصائد فإن ذلك يكشف عن ذات شاعرة مترنمة بأغاني الحياة هافية إلى استرجاعها متعلقة بتلابيبها وهذا مايبرر أن تكون الليالي ليالي الحنين، مايحملها وظيفة إحياء

وبعث وشوق إلى ولادة جديدة أكثر مما يمحضها لمعاني الشكوى واليأس والانكفاء على الذات هذه القراءة البسيطة في هذا الجدول الأول من العتبات الداخلية تجعلنا نقر بأننا أمام مجموعة شعرية تعلن ولادة ذاتها الشاعرة ولا تختم مسارا شعريا.

وبالتوازي مع الجدول المذكور جدول الضوء والنور والحياة وكل مايستدعيه من أمل ورغبة في الانبعاث، يطالعنا جدول الظلمة أو العتمة وهو الشق الثاني من المعنى الذي آلت إليه قراءة العتبة الرئيسية العنوان، ليالي الحنين، لو نظرنا في ما يقود إلى هذا المعنى لظفرنا بعناوين من قبيل

الصيف مر من هنا

لماذا ترحل الأشياء بعيدا؟

السفر الأخير ضمن عنوان، أغنيات للسفر الأخير،

اللهم اللهم قلبي

الليل

قصائد الخريف ، ،

الخريف،

عمر يمر

رحيل

اغفاءة

ذكرى

شتاء

أغنيات معلقة، ،معلقة،،

ياليل

رسائلنا

غربة

ديار

رجع الصدى

أشواق

رياح الحنين

أجراس الحنين

سراب

رحيل

شكوى الغريب

ذكريات

حرائق الوجد

وداع

رجع الصدى على لسان مغترب

ذكريات عائدة

شكوى الغريب

ايحاءات للوطن النائي

ذكريات

بعملية إحصائية نلاحظ هنا الفرق بين عدد قصائد الحقل السابق حقل النور والأمل والأنبعاث والحقل الذي تحيل عليه المجموعة الثانية من القصائد وعددها 32

لتكوّن ثلاثة أضعاف قصائد الحقل الأول وهذا مايسمح بأن نستبق فنقول إن معاني الجدول الثاني هي الأغلب وهي الأكثر توجيها لهوية هذا الأثر الشعري، ،أقمار في ليالي الحنين، ،

فإلى أي مدى يصح ذلك ونحن ننظر في المعجم المتحكم في هذه العناوين؟

لو حصرنا هذه العناوين في معجم أو سجل واحد فإننان

سنضع مفردات من قبيل مرّ، بعيدا، ترحل، الذكريات التي تتردد ثلاث مرات رجع الصدى، مرتين، النادي، الغريب، مغترب، غربة، شتاء،معلقة وداع، أجراس سراب، ديار ا سنجد أمامنا دلالتين متقاطعتين وهما دلالة الانتهاء والرحيل والانقطاع ودلالة الغربة والوحشة ومايستتبعها من معاني الشوق والحنين حضور كثيف لهذا الشق من الدلالة يعبر عنه كثافة الحضور عدديا في العنوان وكأنما الشاعر يخبرنا هنا بحاضر لا يرضى عنه حاضر الوحدة والغربة والفقدان ورحيل

مقومات المعنى، لكأن الشاعر يقول إنه ترك كل شيء جميل خلفه وأنه الآن في هذه المرحلة من حياته يكتفي بالتغني بضوء مضى، هو ضوء الشباب، هو ضوء الإبداع هو ضوء الفعل بكل تجلياته فهل لنا أن نسلّم بغلبة ذلك دلاليا ؟

إن عناوين من قبيل حديث النخل وهو عنوان حدّ للجزء الأول من ثلاثية الفهرس المتكونة من ثلاثة أضعاف هذه الكتلة من القصائد، هذا العنوان الذي يرد في الصفحة66 من مجمل 191 والذي يكشف عن قول الشاعر، ،يرحل الليل في خلجاتك تحن إلى كل فجر جديد فهنا نلاحظ أنه بقدر ما يحضر الليل يحضر الفجر وتستمر المعركة في الذات الشاعرة فهي لاتسلم بحكم الزمن ولا بما طرأ من تغيير في الواقع، الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي يجعل الذات الشاعرة ذاتا متأملة تقف وتتساءل مالذي حصل مالذي يجري وإلى أين نحن ذاهبون أما العنوان كرنفال الذي يرد من الفهرس في 125فإنه يمثل حدا دقيقا لثلثي مكونات الديوان من القصائد وفي ذلك دلالة أيّما دلالة فأن يقول الشاعر في صدر البيت الخامس من القصيد، ،فيا عام انتظرني كي أغني قليلا رغم ألسنةاشتعالي ليقول بعد ذلك أنا كالنسر أشواقي جناح أطير به على هام الجبال، فذلك يوجه الى المتلقي رسالة واضحة مضمونها أن الشاعر في حالة انتفاضة وتحد لا في حالة تغن بما مضى أو حالة الوقوف على الأطلال

هنا نتقدم عبر قصائد الديوان بين أمواج الحنين والغربة والموجدة والشكوى غير أنه قدرنا أن نختم المراحل برسائل ملؤها الثقة بالنفس والغد الأفضل ولا يغرنا هنا الحضور الكمي الهائل من معاني الغربة والحنين إلى عهد مضى، لا يغرنا لأننا نتعقب الأقمار في كل ذلك فالقمر الواحد يزن سماء بأكملها وضوء واحد يهزم عتمة ليالي بأكملها في قصيد بين عينيك الوارد في ص 168 أي قبيل النهاية، قبيل عشرين صفحة أخرى ونيف ، أي قبيل أحد عشر نصا من مجمل63 نصا، مايسمح لنا باعتباره حدامعلنا خط النهاية في مستوى المعنى بالنسبة إلى مجمل الديوان، في عينيك، قصيد والعينان وسيلة النور المقدسة، العينان يسبقاننا فنمشي في الأرض لا حاجة لنا بوسيلة ضوء أخرى نمشي بوسيلتهما مسبحين بواهب الضوء بالهادي إلى المعالم الواضحة والثابتة الدالة علينا، تلك التي تقول إننا هنا ثابتون صامدون ولنا الدنيا وما أضحى عليها.

هذا الضوء، كل الضوء يصب في ومِن عينيها ومن سواها من سوى الأنثى واهبة المحار والردى على رأي السياب واهبة الحياة واهبة الموت، في عينيها يحيا الأمل أو يموت يعود الشاعر فينبعث أو لا يعود يقول

يقول، وجهك الحلو وعطر دافق

ورذاذ من صبابات الأصيل

بين عينيك أنا مرتحل

نجمة تسبح

في ليل طويل
في قصيدي موجة هامسة
وحفيف من صبابات النخيل
وأنا أبحث في زاوية من زوايا
عن الفجر البديل
في فؤادي عالم مضطرم
وزمان حالم بالمستقبل
افتحيني شرفة زاهية
تحتفي بالضوء
في يوم ظليل
وجهك الحلو
ووقت حافل
موجع يرحل في فكري العليل
وإنا وحدي فهل تفتحني شرفة وأنا وحدي
على مرج جميل
بين عينيك
أنا مرتحل
رحلة الملاح

في ليل طويل

إلى إن يقول

ربما تجمعنا أغنية

من اغاني الصيف

قبل الرحيل

والرسالة واضحة هنا فسواء حضرت العينان بمنحى غزلي، أو وطني إو فلسفي إذ يرد هنا أن يخاطب الشاعر المرأة والبلاد والحقيقة أيضا من منطلق السؤال الوجودي الذي لا يخلو منه شعر شاعر تقريبا، الرسالة هنا هي رسالة الحياة والتغني بمقوماتها، رسالة الثورة على الذات التي تستكين أو تكاد، رسالة عدم التسليم بما حل ببلادنا ورسالة السؤال الإنساني الخالد، ،من نحن وماهي حقيقتنا ؟

عيناها هما القنديل الذي يقود نحو كل هذه المعاني

ألم يصدر بدر شاكر السياب قصيده الخالد، انشودة المطر،، بالتغني بالعينين، عيناك غابة نخيل ساعة السحر أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر، ،مخاطبا بذلك أرض النخيل سواد العراق وشاعرنا كذلك يفعل يتغنى بالوطن يتغنى بالعودة يتغنى بالحياة وكأن هذا الديوان قصائد تتمم ديوان،، أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي، ألم يصدر البشير المشرقي ديوانه بتكريم أبي القاسم الشابي بمناسبة مئويته؟ هل يكون الأمر عفويا ؟ لا أعتقد إذ لا عفوية في أنظمة اللغة وتوزيع

الملفوظ إنما أراد شاعرنا أن يقول، ،سنغني، سنغني للفرح، كما تقول الأغنية الملتزمة بمعاني الانتفاضة ومعاني الحياة هي قراءة بسيطة في العتبات وفي العلاقات الداخلية للعناوين وفي بعض المؤشرات اللغوية والمضمونية التي حاولت أن تضيء جانبا من مجالات البحث التي يحتملها ديوان، أقمار في ليالي الحنين، ،ويبقى الديوان متسعا لقراءة سيميائية ايقاعية دلالية أعمق وهذا مانتمنى أن يحظى به في قادم الدراسات والإطلالات ا لنقدية

البشير المشرقي
شاعر الفرح بالشعر

منصف المزغنّي

في كل شاعر شيء من الفرح، أو نزوع الى الفرح.

هكذا وردت هذه العبارة الاولى على خاطري حين طلب مني مدير هذه الندوة الباحث محمد المي، واعلمني ان موضوعها هو : الشاعر البشير المشرقي.

كنت اقرأ لهذا الشاعر في مجلة «الفكر» وفي الصفحات الثقافية التونسية.

وكان لا مناص من اللقاء في زمن ثقافي كانت اللقاءات التونسية الثقافية والشعرية مزدهرة ازدهارا ملحوظا.

وأتذكر اندهاش كثير من الاصدقاء العرب الذين كانوا يعبرون عن هذا الزخم الذي عرفه الشعر من خلال الملتقيات التي باتت تعقد للشعر، حتى صار انجاز مهرجان شعري في تونس، يحتاج الى تنسيق بين مديري هذه المهرجانات، وكان البشير المشرقي واحدا من ابرز هؤلاء المحركين للملتقى الشعري في ولاية بنزرت، كان حريصا على انتظام موعده، وفيًّا

لما يختاره من شعراء، ومستجيبا لكل شاعر يريد دعوة نفسه بنفسه.

كان البشير، اخونا، وشاعرنا قد سعى الى ان يدعو كل الشعراء والشاعرات في تونس، ولو اتيحت له الفرصة ان يجعل من الشعر نشاطه الوحيد، فانه لا يتردد في ان يجعل بنزرت مدينة الشعر، ويكاد أخونا البشير يستولي على كل امكانات ولاية بنزرت ليجعلها في خدمة الشعراء.

لم تحصل لي فرصة التعرف على البشير المشرقي الا عبر ما كنت اقرا له من شعر كان ينشره في مختلف المنابر الثقافية التي كانت مفتوحة، في اواخر القرن الماضي، وكان البشير لا يكتفي بنشر الشعر الخاص به، بل كان يسهم في ترجمة الشعر الفرنسي الكلاسيكي الى العربية.

ولا شك ان مجابلي البشير من خريجي كلية الاداب، لم يكونوا في مثل حماسته لترجمة الشعر، كما لم يكن بعضهم مطلعا بالشكل الكافي على الشعر الفرنسي، والتفاعل معه، من خلال الترجمة كما فعل الشاعر البشير المشرقي.

مجمّع الشعراء

ولم يدخل في احلاف شعرية، او صراعات، لان البشير يحب الشعراء بصرف النظر عن تجاربهم، اتفاقا او اختلافا مع منظوره الخاص للعمل الشعري ولرؤيته الجمالية. فقد كان منفتحا على كل التجارب الشعرية، بل انه، مهرجان الشعر العربي كلن ينظمه في بنزرت لسنوات طويلة، كان فرصة

لاجتماع شعراء وشاعرات تونس، ويستمرّ يومين. وكان البشير يعالج حضور المشاركين من شعراء ونقاد بالابتسامة التي يلاحظها الناظر اليه، وهو يتحرك في مهرجانه.

والحق، ان العمل الثقافي الاداري بالنسبة لمبدع، هو نوع من الصدقة يقوم بها الشاعر، مكرها، لا بطلا فيها ولا مديرا، ولكن البشير المشرقي كان ينهض بهذا العمل بروح اكاد اقول فدائية، فهو يشرف على مهرجانه الشعري، ويقف على تفاصيله، ويحتمل كل إمزجة الشعراء، فتراه يهضمها بابتسامة غامضة، تداري ما يشعر به أخونا الشاعر البشير، لان بعض اهل الشعر يسببون نكدا خالصا لكل مدير مهرجان شعر، ،،

ما يجب التأكيد عليه، هو ان البشير مجاز في اللغة والاداب العربية، ولكنه على صلة أخرى باللغة الفرنسية وعارف بنصوص شعرائها الكبار، وهذه ميزة يتفرد بها بين اغلب ابناء جيله .

تونس العاصمة، في 22 فيفري 2024

البشير المشرقي شاعر الشّجون

سُوف عبيد

بِاعتزاز كبير وِابتهاج فيّاض يسعدني أن أكون من المساهمين في تكريم الصّديق الشّاعر الكبير البشير المشرقي فهي مناسبة لإيلائه ما هو جدير به من اِحتفاء وتكريم لأنه من المساهمين بِاستمرار في مسيرة الشعر التونسي منذ أكثر من نصف قرن وإنّ هذه المبادرة التكريمية لأعلامنا التونسيين في الأدب أعتبرها ردّ اِعتبار للأبعاد الثقافية التي كادت أن تُطمس ويجرفها تيّار المنافع الماديّة العاجلة الرّبح والشّاعر البشير المشرقي من أولئك الذين آمنوا بقيمة الكلمة في صدقها وجمالها وتأثيرها فعكف على رعايتها والكلف بها عشرات السنين وما دواوينه المتوالية الصّدور وإصراره على نشر قصائده في مختلف المنابر إلا دليل على شغفه بمتعة الإبداع..

الشاعر البشير المشرقي ليس شاعرا فحسب وإنما هو صاحب نظرية في الشعر أيضا وهي لئن بدت واضحة السّمات في شعره فإنه قرأ من خلالها بعض النصوص الشعرية التي عكف على تقديمها والتعريف بها وللشّاعر كذلك كتابات صحافية ومساهمات إذاعية في برامج الإذاعة الوطنية أمّا البُعد الآخر الذي لا يقلّ أهمية في شخصية الشاعر فهو مسيرته

التربوية سواء في التدريس أو في تسيير بعض المعاهد ولعلّ المرحلةَ الأهمّ في حياته الثقافية تتمثّل في إشرافه على مدى أكثر من عشرين سنة على نشاط الحركة الثقافية في ولاية بنزرت حتى أضحت قِبلة المثقفين والمبدعين من تونس وخارجها وقد أصدر البشير المشرقي المجموعات الشعرية التالية

ـ في البحث عن مقر

ـ نوافير .. وتشدو همسات الى الزمن الهارب

ـ أحبتي. . والليل . . والوطن

ـ على نقر المطر . . والذكريات

ـ توقعات الربيع الخامس

ـ السندباد والقمر الوحيد

ـ كتاب الفصول

ـ تحليق خارج حدود الحلم

ـ أقمار في ليالي الحنين

ـ فسيفساء الظل والألوان

ـ وكذلك مجموعة شعرية بالاشتراك ـ الرياح اللواقح ـ

بالإضافة إلى عديد القصائد الأخرى المنشورة في مختلف الصحف والمجلات والأنطولوجيات سواء في تونس أو خارجها فعسى أن تكون هذه المناسبة حافزا كي يجمع ما نشر

وما لم ينشر من شعره ضمن ديوان كامل شامل يكون تتويجا لأعماله الشعرية .

البشير المشرقي من شعراء تونس الذين ظهروا وبرزوا في الثلث الأخيرمن القرن العشرين وقد شهدت هذه الفترة تحوّلات كبيرة على المستوى الثقافي إذ نشأت حركات في شتى الفنون ترنو إلى الجديد محاولةً فتح آفاق غيرِ مألوفة سواء في المسرح والموسيقى والرّسم والسينما أو في القصة والرواية والنقد والشّعر الذي شهد على مدى تلك السنوات حركات متنوعة المنطلقات ومختلفة التجارب والرّؤى أنتجت مدوّنة شعرية زاخرة وثريّة لذلك نجد صدى هذه الحركات في كتابات البشير المشرقي النقدية معبّرا عن نظرته للشعر التي بيّنها في خضمّ تلك الحركات فيُحدّده قائلا ضمن مقالة ـ أغراض الشعر التونسي الحديث ـ بمجلة الفكر أكتوبر 1978 حيث يقول :

ــ كنت وما زلت أعتقد أن الشعر الخالص هو ذاك الذي ينفذ إلى القلوب والنفوس بواسطة مجموعة من الأدوات التي بدونها لا يكون الشعر شعرا ولكون للكلمة الشعرية الحيّز الجدير بها على خارطة التعبير الفنّي ومن هذه الأدوات كما لا يخفى عنصر الموسيقى الموحية التي تساعد على تقبّل ما يصبو إليه الشاعر من تعبير عاطفي إلى جانب التزامه العناية بالصورة الشعرية التي يعمل جاهدا على أن تكون في مستوى الجمالية التي تتطلبها حقيقة العمل الفنّي وليس عتصر الموسيقى او

الإيقاع الشعري من خصائص الشعر العربي دون سواه بل نجده يحتلّ مكانة قصوى في كل عمل شعري مهما كانت اللغة التي أُخرج بها إلى الوجود ولعل الشاعر الفرنسي ـ بول فرلان ـ قد عبّر عن ذلك أحسن تعبير عندما قال في إحدى قصائده ـ إن الشعر موسيقى... وموسيقى قبل كل شيء.

فالشاعر البشير المشرقي يرى أنّ الشعر لا يكون إلا بتلازم الموسيقى والصّورة ويتجلّى في قوله مثلا :

العمر مرّ كما ترين موزّعا ما بين أوهام وعصف رياح
فكأنّما الساعات كانت غيمة لم تهم في قلبي بغير جراح
ضمّي شتاتي كي تعود طفولتي وتغرّدَ الأطيار بعد نواح

وفي مثل قوله أيضا :

أهديت اليوم مجاذيفي وجناحي المثقل للأطيار
عشرون مضت من عمري وتلتها عشر كالإعصار

فيغلب على شعره المواضيع الوجدانية في المرتبة الاولى من حنين واِسترجاع: للماضي في حسرة أما الحاضر فهو لديه شجون وأسى مثل قوله

هذه الليلة الجاثمه
سوف أسهرها
الآن وحدي
أعد دقائقها
وأنام بعين
وأخرى تحدق

في الليل
كالطير حين
تفاجئه الريح

الليل يهفو
وأجنحة لا
تنام
ليلة بارده
مثل قلبي
رخام

ونحن عندما نستعرض حتى عناوين قصائده نلاحظ أن غمامة من الأسى تخيّم على أغلب كلماتها وهذه بعض من تلك العناوين :

عيونك باقية وأنا راحل ـ للريح مواجعها ولقلبي البوح ـ اليوم لا تبكي الرياح على دمي ـ بكائية الوجد ـ من أغاني سيزيف المهزوم ـ ويرحل مثل النورس ظلي ـ ما تيسّر من أبجدية العشق والأحزان ـ مقدّمات للشتاء القادم

فجذور شجن البشير المشرقي تبدو قديمة لعلها من زمن الطفولة ونمت مع مكابدته للسنين فماهي أسبابها ؟

لا أدري هل في كتاباته العديدة قد تعرّض لهذه المسألة الذاتية ولكنّي أجزم أنّ مِسحة الأسى

هي من أهمّ سِمات شعره والمنبع الأوّل والقادح الملهم في شاعريته فهو القائل في هذا السياق :

ــ الشعر هو عملية خلق فنية تنطلق من الذات الفردية نتيجة معاناة أو حالة شعرية يعيشها الشاعر الفنان وهي مرحلة توتر نفساني يشبه آلام المخاض التي يتبعها اِنفراج يتمثل في إفراز القصيدة التي هي بمثابة وليد ومعنى هذا الكلام أن الشعر قبل كل شيء هو تجربة نفسية شخصية تكون الذات الفردية محورها الأساسي ومدارها الرئيسي

إنّ مِسحة الأسى وظلال الشجون في شعر البشير المشرقي يمكن أن نعتبرها اِمتدادا لمنجزات الرومنطيقية العربية بما في قصائده من اِحتفاء واضح بعناصر الطبيعة التي جاءت منثالة في أغلب صوره الشعرية ونجدها أيضا في بعض قصائده ضاربة الجذور في مُتون الشعر الأندلسي كما لدى اِبن زيدون واِبن خفاجة ولا شكّ أنّ البيئة التي نشأ فيها الشاعر والتي عاش فيها أيضا لها الأثر الواضح في شعره فربوع بنزرت ذات طبيعة غنّاء جمعت بين المروج وبساتينها وبين السواحل وخلجانها المنداحة بين الحقول والغابات وعند سفوح الجبال وكثبان الرّمال فالشاعر مِلء عينيه طبيعةٌ متنوّعة بشتى عناصرها التي لا تكاد تخلو منها قصيدة من قصائده كقوله :

حينما جئتِ كان الربيع وكان انسلاخ الطبيعة

عن قشرة الحزن كان التبرّج والسهر والانفتاح

على الكأس...كان انحلال الأحاسيس

والشهوة العاتية

ولكنما اليوم يا غالية

كما البحر يغرقنا المدّ

يجرفنا الزمن الهارب

الظلُّ في ثانية

سيرحل مثلَ النوارس ظلّي غدا

وتكونين يا امراةً ملأت بالجراحات زادي

كصفصافة القفر تبكبن تبكبن

لكنما الصوت منك يضيع

ويغمر قلبي أنا... في مسيري الصقيع

لئن وردت أغلب قصائد الشاعر على شكل البحور الشعرية في إيقاع التفعيلة وترجيعة القافية فإن اِنتصاره إلى هذا الشكل لم يمنعه من التصرف أحيانا في نسق التفعيلات وتداخلها في القصيدة الواحدة بل قد يخرج عن النسق العروضي أيضا ويكتب أحيانا القصيدة الوجيزة أو الومضة وهذا يؤكد الأريحية الفنية لديه مثل قوله

كل يوم أقول سأترك هذي القصيده

عذبتني القصيدة

وأهمّ بها

فأرى فجأة بين كل السطور

جداول عينيك

جارية

وطيوفا تعاتبني

قدمت من بلاد بعيده

فأعود لها صاغرا

وأصالحها بشجون جديدة

إذن مهما تعدّدت الأشكال والأنواع الشعرية لدى البشير المشرقي فإن بصمات شجونه تلازمه في كلّ قصيدة تقريبا لكنّها شجون ليست ذاتية منبثقة من حالاته الوجدانية الخاصة فحسب وإنّما هي شجون تعبّر كذلك عن اِنتمائه إلى تونس وعشقه إيّاها حيث يقول من قصيدة ـ تونس الحب تونس الياسمين وهي القصيدة التي كتب على نسقها عديد الشعراء :

فقرطاج مائلة في عيوني ... وبنزرت عن حبّها لـــــن أميلا

أرى في بلادي الشواطئ تغفو ... وألمح كثبانها والنّخـــــيلا

تميس الظلال على كلّ درب ... تعانقه بكرة... وأصـــــيلا

أحبّك تونس مهما نأيتِ ... فحبّك كان لنـــا سلسبـيلا

فأنتِ الحبيبة أنت المقيمة ... في خافقي مُذْ أضعت الدّليلا

ومن آخر قصائد الشاعر قصيدة حول غزّة وما تتعرّض إليه من إبادة وهمجية حيث ورد فيه :

قتْل وقصف وتشريد وهرسلة ... للّه درّك يا أرض الميامين
أهكذا غزّة للظلم نتركها نهبا ... لمن عاضدوا فعل الشياطين
كانت بلادا يؤم الطير دوحتها ... عند الأصائل يشدو في الأفانين
وهاجر الطير حين الطلق أزعجه ... وودع الروض أسراب الحساسين
هذا الرضيع الذي عاثوا بمهجته ... قد صار رقما بأفواج الجثامين
تبكيه أم بدمع سال من مُقل ... سخية، دون توديع وتأبين

لصديقنا الشاعر البشير المشرقي رأي في أبي القاسم الشابي وفي الشعراء التونسيين الذين جاؤوا بعده حيث يقول في حوار منشور :

ــ إنّ الشابي ظاهرة جديرة بالاحتفاء حتى في يومنا هذا.. ولكن أن نعتبرها الظاهرة الوحيدة والأعظم، فهذا ما لا يقبله العقل والمنطق.. بقي من الشابي الكثير.. بقيت الاشتغالات الانسانية ومشاعر الغربة والحنين والوعي بالموت، ولكن جاء شعراء اليوم ليضيفوا الى السجلّ معاني أخرى وإرهاصات أخرى تجعل تقديرنا لنضالهم، الوجودي والانساني والإبداعي الملتزم أمرا متحتّما وضروريا.. آن الأوان لترك الغابة تنعم بقليل ممّا نالته الشجرة الوحيدة من حظوة وعناية ومتابعة حتى تفرز شعراء بحجم المرحلة حقا ــ

هذا رأي جدير بالتقدير فهو دعوة إلى إيلاء الشّعر التونسي بعد الشّابي الِاهتمام للتعريف بإنجازاته وأعلامه والوقوف على إضافته ومميزاته ضمن مدوّنة الشعر العربي والعالمي فأرجو

أن تكون هذه المداخلة في هذه المناسبة خطوةً نسعى بها إلى ذلك الأمل المنشود .

البشير المشرقي

* زاول تعليمه الابتدائي بجرزونة والثانوي ببنزرت والعالي بكلية الأداب والعلوم الانسانية بتونس حيث تخرج منها بشهادة الأستاذية في اللغة والأدب العربي. وشهادة في الأدب المقارن
* باشر التدريس بالمعاهد الثانوية كاستاذ اول للتعليم الثانوي
* كلف بعدها بادارة عدد من المعاهد الثانوية
* عين مندوبا جهويا للثقافة لمدة عشرين سنة
* حاصل على جائزة الدولة للتشجيع على الإنتاج الادبي في اواخر الثمانينات
* حاصل على الصنف الرابع من وسام الإستحقاق الثقافي
* شارك في عديد التظاهرات الثقافية و الشعرية بتونس وبالخارج كالمهرجان العالمي للشعر بستروقا *struga* سنة 1985 بمقدونيا و أسابيع ثقافيةنشر تونسية بالخارج
* نشر اثني عشر ديوانا شعريا
* نشر بالجرائد والمجلات التونسية
* أشرف على أركان ادبية ببعض الجرائد
* أنتج برامج للاذاعة الوطنية كبرنامج خيوط الفجر.
* مدرج بمعجم البابطين للشعراء المعاصرين
* شارك في كتاب البابطين : عيلان عبد الله كردي
* شارك في كتاب البابطين : الملحمة الشعرية.

مقتطفات من شعر البشير المشرقي

إيماءات للزمن الجميل.

بماذا سأبدأ هذا الحنين؟
وقلبي شتاء
وعزفي انين
و عيناك نافورتان
تضخان في مهجتي
وجعا لا يلين
تمر سنون وتأتي
سنون
وقلبي كما كان
قيثارة الحزن
أغنية من
تراث السنين
آه يا حلوة الوجه
ضاع الربيع الذي فاح
ضاعت مواسم
جني الزهور البهية
تاهت طيور لنا كم تغنت
على غصن أحلامنا التائهه

أين عيناك
كي أفتح اليوم سفر البكاء
على شرفة الزمن المتردي
عيونك فاكهة العنفوان
وقلبي كمركبة
في الرياح العتيدة
تاهت
عيونك فصل آشتهاء بدائي
ولا حول لي غير عينيك
مركبة للعبور
أين صيفي واين ربيعي؟
وأين وميض الأماني
وترنيمة الكلمات؟
أين شدو الحياة
و همس السنونو
ومعزوفة الاغنيات؟
أين مني ربيع تجلى
لعيني وكالبرق فات ؟
أين عطر الاماسي
وتسبيحة النسمات؟
أين وقت يظللنا في
هجير الأصائل
أين زمان التجلي

على صهوة الزمن المتبرج
للشمس أين الأناشيد
والنغمات؟
أين همس النخيل
وأين الهديل؟
أين بوح الصبا
لزمان الأصيل؟
أين شجو الطيور
على فنن
في الخميل؟
آه يا نجمتي
ضاعت الأمنيات
ضاع فصل التجلي
وفات قطار النجاة
افتحي لي المنافذ
يا حلوة الوجه
والشرفات
فأنا السندباد الذي
خذلته
فصول الحياة !
في الربيع
الموالي
ساسأل عن

روضة الورد
كيف آختفت
عن عيوني
وعن باقة الياسمين
التي كنت قدمتها
للزمان الجميل
وقد كنت كالطائر
المتغني
على غصن
دالية
في الحديقه
وعن أمنيات مضت
كالسراب
وعن اغنياتي
الرقيقه
وعن كل حلم مضى
كان أخضر
ملتحفا بالسنا
سوف أسأل عن
بهجة العمر
كيف ذوت
عن عيونك
كيف بهذي

المفاوز قد
تركتني
ساسأل عن
كل قطرة عطر
وعن كل خلجة
شوق
وعن كل اهزوجة
حملتني بعيدا
على
صهوة الريح
في كل مفتتح
لصباح جديد
ساسأل عن
نجمة لمعت
من جديد
وامد يدي
نحوها
ربما سوف
يهمي سناها
واهتف ،
منفردا بآشتياقي ،
باحلى غناء
وأبهى نشيد

والسنون التي
قد مضت فجاة..
سوف اهفو لها دائما..
بالمناديل.. سوف
الوح في الاتجاه المؤدي
اليها..
ربما..
ربما نفحة
من شذاها..تصادفني
وانا سائر في الممر الكئيب..
ربما يخرج الطير عن صمته
ويغني..
ربما يحتفي الروض
بالاقحوان..
وبالنرجس المتعالي..
كان الربيع الذي فات..
قد عاد مزدهرا..
من جديد..

***

وما تغربت عن قومي وعن وطني
إلا لأرجع مشتاقا لأوطاني
فيها شربت سلاف الحب أجمعه
ومن مفاتنها كحلت أجفاني

فلا تلوموا إذا ما كنت مفتتنا
بها وكانت محطاتي وعنواني
كالطير ينأى بعيدا عن خمائله
حتى إذا آشتاق ، يبكي وكره الحاني !
قضيت عمري هزارا شاديا غردا
مرفرفا بين أغصان وأفنان
وما ثنت عزمه الأرياح إن عصفت
ولا شكا السهد من غدر وهجران
جناحه في مهب الريح منطلق
قد يمم الأفق مبهورا بألوان
سيرجع الصيف مزدانا بخضرته
والطير يصدح نشوانا بألحان !

عود على بدء

أبكي على بعضي وبعضي ينظر
والعمر يمضي عطره يتبعثر
للقلب باب سوف أفتحه على
مرج السنين كجنة تتصور
ما ضرني أني تركت حدائقي
ظمأى وطير الأيك لا يتذكر
هذي السنون أضعتها في لحظة
والصيف خلى فيأها.. والعنبر
مرت كلمح البرق ليس يردها
أسف ولا شوق بقلبي يكبر
ما بالها جمحت وغاب بريقها
وأنا الذي بسحابها أتدثر ؟
وحدي أراها جنة موعودة
والعين ترسم فيأها وتصور
عمر تقضى في حماها.. غفوة
تركت خطانا بعدها تتعثر
يا جنة الأعوام جئتك ذاكرا
ما مر فيك وكيف جف الكوثر ؟
أرنو لخيط من سناك يلفني
ويروقني دفق السنا والمنظر
ما كان أحلى من شذاك إذا همى

وبنفحه أطوي الزمان وأنشر
هاتيك كانت في الجفاف غمامتي
تروي الغصون الذابلات وتمطر
أبكي على بعضي وبعضي واجم
أكذا تمر الأمسيات وتعبر ؟
سأعيدها الأيام جذلى بعدما
تركت حمانا.. والحقول ستزهر !
كانت خمائل كنت فيها طائرا
واليوم لا طير إليها ينظر
الياسمين ذوى وجف عبيره
والروض مصفر الخمائل مقفر
أبهذه الأعوام كنت متيما
أطيافها في كل حين تخطر ؟
كانت تقاسمنا المكان حمائم
غنت فماد بها الخميل الأخضر
لكأنه صب يذوب صبابة
وهي الحبيبة في اللقاء تفكر
كم عاودتنا في حماها صبوة
وغدا الحنين على الأضالع يقطر
نار يؤججها التذكر والأسى
وبكل ضلع من ضلوعي تزفر
أين المجالس كان فيها فتية
رضعوا الوفاء وغيرهم يتنكر

كانت كؤوس الصفو تجمع شملنا
لا غدر واش ، لا عدو يضمر
حضرت جميع الذكريات ، جميعها
فبمن ألوذ وجمعها لا يغفر ؟
كل المنافذ اصبحت مسدودة
وغدا الخلاص من المواجع يعسر
يا غائبين وقربهم لي جنة
وغيابهم عني به أتكدر
طارت طيوري خلف هاتيك الربى
وتصرم العهد الجميل الأنضر
وبقيت أرمق كل غيم عابر
عل الغيوم على الجوانح تمطر
سيجيء صيف بالعطور وبالشذا
يهمي على القلب الذي يتفطر
واكون نجما بينهم.. وجوانحي
تهفو إليهم.. شوقها لا يفتر
وأنا جناحي الشوق ، يخفق في المدى
هيمان ، يطويه الحنين وينشر !

زمان.. كم ذكرناه.!

زمان كم ذكرناه آحتفالا
وما شئنا لروعته زوالا
مضى ، لم ينتظرنا حين ولى
وخلف مهجة تبكي آعتلالا
واضلاعا بها النيران شبت
وما قدرت للسعتها آحتمالا
أيمضي حاملا عطرا وانسا
ويبقي لي المواجع حين زالا؟
ذكرتك يا زمان فهاج شوقي
فسل عنه الجوانح حين سالا
ولم ابك الدقائق حين مرت
ولا أخفيت في صدري آنفعالا
فقد جربت طبعك من زمان
وما أبديت لي ابدا وصالا
سالجم خافقي عن كل شكوى
وإن كان الفؤاد لك آستمالا !
ألا يا عيشة كالحلم مرت
وكانت كالنسيم هفا آعتلالا
أيرجع صفونا من بعد لأي
ويشدو الطير في الدوح آرتجالا؟
ويجمعنا الصفاء بكل خل

يشاركنا صبابتنا آنشغالا ؟
وداعا يا زمان ففي حشانا
تركت النار تشتعل آشتعالا !
كأني ما قضيت بك الليالي
أكرر عن دقائقك السؤالا
فكيف نايت عني بعد وصل
وعن دنياي ازمعت آرتحالا ؟
أابقي واجما والوقت يعدو
أذوب صبابة وأسوء حالا؟
أنا الطير الذي مازال يهفو
ومن ذكراك يوما ما آستقالا !
سأختصر المسافة بين قلبي
وعطرك ، غربتي تبقى احتمالا
فسقيا للثواني كم رقصنا
على نغماتها تهمي سجالا
كأنا الطير قد غنى أصيلا
وشد لدوحة الروض الرحالا
سأرثي للثواني غير أني
سأرثي العمر أشبعه ابتهالا
فلا بعدت ثواني الأنس يوما
فقد أزرى البعاد بنا وطن

ألبوم صور
للبشير المشرقي

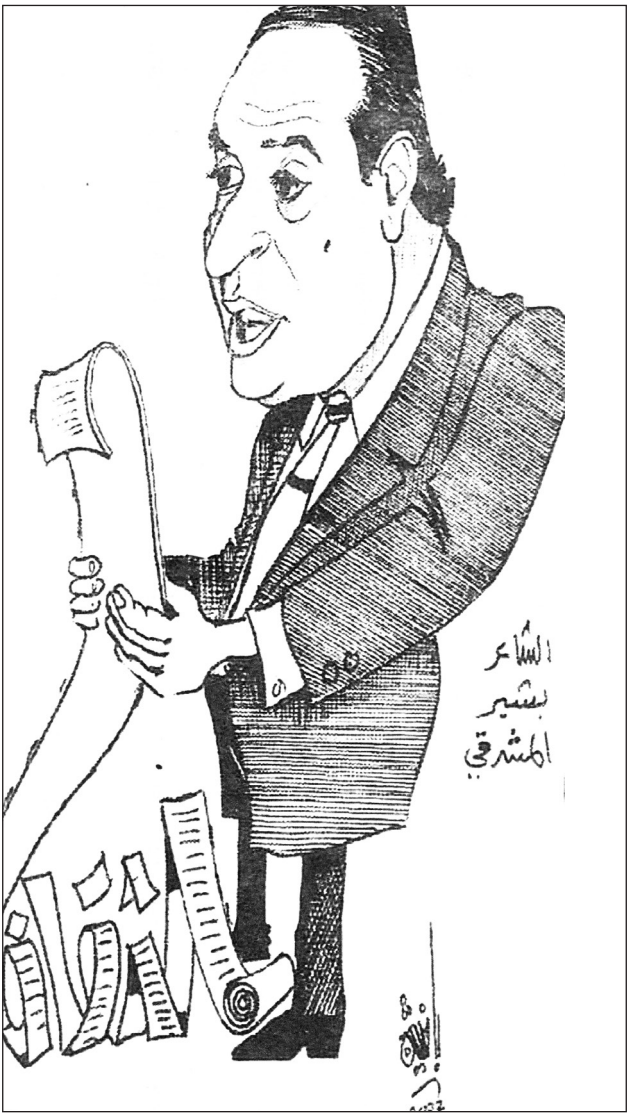
الشاعر
بشير
المشرقي

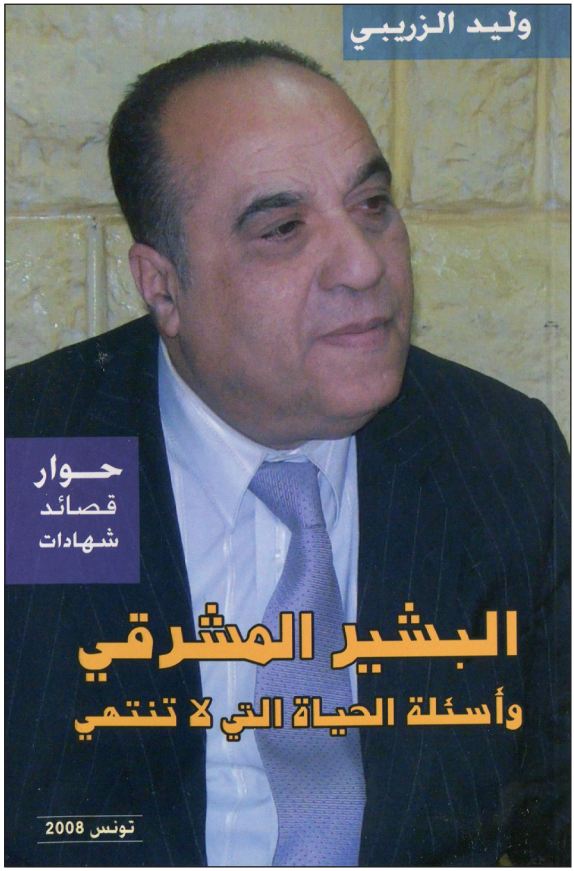
وليد الزريبي
حوار
قصائد
شهادات
البشير المشرقي
وأسئلة الحياة التي لا تنتهي
تونس 2008

1985

الفهرس

البشير المشرقي شاعر الحبّ والشّجن 3

محمد الحي

الصوت الباقي قراءة في تجربة البشير المشرقي الشعرية 5

محمد علي القادري

دراسة تحليليّة نقديّة في الدّيوان الشّعريّ «فسيفساء الظّلّ والألوان» للشّاعر التّونسيّ «البشير المشرقي» بعنوان: «في البحث عن الذّات وتشكيل المعنى»..... 11

د. مفيدة الجلاصي

البشير المشرقي شاعر الحنين ! 41

نورالدين بالطيب

الكتابة بأقصى الحنين في المجموعة الشعرية : «أقمار في ليالي الحنين» . للشاعر التونسي : البشير المشرقي 47

كوثر بلعابي

فسحة في الكتاب الشعري «فسيفساء الظل والألوان» للشاعر البشير المشرقي : 59

شمس الدين العوني

أقمار في ليالي الحنين للشاعر البشير المشرقي قراءة في العلامات والدلالات..... 67

الأستاذة منى الماجري

البشير المشرقي شاعر الفرح بالشعر 81

منصف المزغنّي

البشير المشرقي شاعر الشّجون 85

رؤوف عبيد

سيرة ذاتية 95
مقتطفات من شعر البشير المشرقي 97
ألبوم صور للبشير المشرقي 109
الفهرس 127